الجمهوريـة الجزائـريـة الديمقراطيـة الشعبيـة
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليـم العالـي والبحـث العلمـي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي لميلة

معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

الآراء اللّغوية في عربيّة القرآن لعبد الصّبور شاهين
ـ دراسة وصفية للكتاب ـ

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس (ل.م.د) في اللغة والأدب العربي
تخصص: لغة عربية

إعداد الطالبتين:
*- سهام بوكنتوشة
*- أحلام سعيدي

إشراف الأستاذ :
- الخثير داودي

السنة الجامعية: **2014/2013**

دعاء

ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الظالمين.

قال اللّه تعالى:﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينْ﴾النمل:15

يقول الرّسول –صلّى اللّه عليه وسلّم–:

"من أراد الدنيا فعليه بالعلم، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم، ومن أرادهما معا فعليه بالعلم"

اللّهم لا تجعلنا نصاب بالغرور إذا نجحنا، ولا باليأس إذا أخفقنا، وذكرنا أنّ الإخفاق هو التجربة التي تسبق النجاح، اللّهم إذا أعطيتنا نجاحا فلا تأخر تواضعنا وإذا أعطيتنا تواضعا فلا تأخر اعتزازنا بكرامتنا

وآخر دعوانا أن الحمد للّه ربّ العالمين"

شكر وتقدير

أولا وقبل كل شئ في الكون ننحني سجودا لله عزوجل خالقنا ورازقنا ومدبّر شؤوننا عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته على منّه علينا وتوفيقه لنا في إتمام وانجاز هذه المذكرة .

فالشكر والحمد له دائمين أبدين مادمنا على قيد الحياة نسأله أن يوفقنا ويسدد خطانا وينور عقولنا للفهم الصحيح والسليم إن شاء الله .

كما نتقدم الشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف الخثير داودي على صبره معنا في كل العراقيل والصعوبات التي صادفتنا ، وعلى كل النصائح والتوجيهات التي قدمها لنا طيلة إنجاز هذا العمل المتواضع، كما نتقدم بالشّكر الإمتنان إلى كل أساتذة معهد الآداب واللغات إلى كلّ من ساعدنا من قريب أو بعيد بمعلومة / كلمة ، توجيه ، تشجيع في إنجاز هذا العمل نسأل الله أن يجزي الجميع الأجر والمثوبة .

مقدمة

لقد ارتبطت اللّغة العربية بأعظم معجزة في الكون ألا وهي كتاب اللّه المبين، خدمة له كي لا تزوغ الألسن عند قراءته، ولقد مجّد اللّه هذه النّعمة العظيمة أن أنزل بها كلامه الكريم لتصبح بذلك أرقى لغات الأرض وأغناها، بفضله سبحانه وتعالى، ثمّ بفضل جيل من العرب وغير العرب، رعاها وحفظها حتى صارت لها مكانة تتفاخر وتتباهى بها أمام غيرها من اللّغات.

واللّغة العربية الفصحى لطالما كانت ملجأ ومتنفس العديد من الباحثين المعاصرين من منطلق شغف التنقيب والبحث عن قراءة جديدة تتماشى مع المنابع الفكرية المعاصرة، ولعلّ أبرز هؤلاء العلماء "عبد الصبور شاهين" في كتابه "عربية القرآن"، الذي يفيض التحدث عن اللغة العربية الفصحى لغة القرآن الكريم، ويتعّرض لها بالتحليل من عدة نواحي.

وقد كان اختيارنا لموضوع " الآراء اللّغوية في عربيّة القرآن " محاولة منا لتحليل بعض الأفكار والمسائل التي أوردها الكاتب، ولعل السبب الرّئيس الذي دفعنا لاختيار هذا الموضوع هو حبّنا للغتنا العربية وغيرتنا عليها، وكذا الفضول والرّغبة في معرفتها والإلمام بمجموعة من المعلومات المتعلقة بها، وواقع هذه اللّغة وارتباطها بالقرآن الكريم، لأنّها تشكّل هويتنا .

كما أردنا لهذا البحث البسيط أن يكون تثمينا لما سبقه من الدراسات والبحوث التي تعرّضت للّغة العربية الفصحى، ممهّدين لمن يأتي بعدنا في المضيّ في هذا الموضوع الواسع والمتشعب.

ولدى معالجتنا للقضية بدر إلى أذهاننا مجموعة من التساؤلات أبرزها:

. هل هنالك فرق بين عربية القرآن وعربية العرب؟

. ما هي أهم مميّزات عربية القرآن؟

. وأين تكمن أزمات العربية المعاصرة؟

و للإجابة عن هذه التساؤلات جاء موضوعنا الذي ذكرناه سابقا مبنيا على خطة معينة اقتضتها طبيعة الموضوع، وهي كالآتي:

مقدّمة، ومدخل، وثلاث فصول، كل فصل يحتوي على ثلاث مباحث، وتوّجناه بخاتمة،

حيث تناولنا في المدخل تعريفا بالكاتب "عبد الصبور شاهين" ، وكذا تعريفا موجزا بالكتاب كما بينا في المبحث الثاني:الفرق بين عربية القرآن ولغة العرب في جاهليتهم، وذكرنا بعدها مميزات عربية القرآن.

أما الفصل الأول:فتطرقنا فيه لثنائية (اللغة والبيان) والفرق بينهما، لننتقل إلى تحديد الفرق بين الفصحى المعاصرة والقديمة، ثم أشرنا في نفس الوقت إلى قضية أميّة العرب.

أما الفصل الثاني: فخصّصناه للتعرف على أهمّ اللهجات العربية وكيفية تشكلها، ثم درسنا في المبحث الثاني مقياس الصواب والخطأ ومعيارية اللغة، إضافة إلى ظاهرة الاقتدار اللغوي في عربية القرآن وقواعد النحاة.

وفي الفصل الأخير تناولنا مصطلح العقيدة و تواردها بين العلماء والباحثين، ثم أوجزنا النظر في بعض الأزمات التي تعانيها العربية المعاصرة، وفي ختام الفصل كان ولابد من التطرق لقيمة الكتاب في حقل الدراسات اللغوية.

وقد أنهينا البحث بخاتمة حملت ما خلصنا إليه من ملاحظات وما توصلنا إليه من نتائج اتضحت لنا أثناء التحليل والدراسة.

وبالنظر إلى الخطة فقد استندنا في عملنا هذا على منهج زاوج بين الوصف والتحليل، مدعما بلمسات من التاريخ.

وهذا البحث ما كان ليرى نوره لولا اعتمادنا على بعض المصادر والمراجع، نذكر منها على سبيل المثال "كتاب عربية القرآن" الذي هو محل دراستنا، وكتاب "مداخل إلى الإعجاز القرآني" لمحمود شاكر، وكذا "العربية الفصحى" لعودة الله منيع القيسي.

ولقد واجهتنا صعوبات هي متعلقة بالبحث ذاته منها عدم تحكمنا في منهجية البحث بداية الأمر، وكذا افتقار المكتبة للكتب التي تخدمنا.

وفي الأخير نتقدم بالشكر لكل من ساعدنا على إنجاز هذا العمل المتواضع وعلى رأسهم الأستاذ المشرف "الخثير داودي"، ونتمنى أن يكون مفيدا و لو بجزء يسير.

أحلام سعيدي وسهام بوكنتوشة

المركز الجامعي ميلة

يوم:2014.05.15

مدخل

المبحث الأول: التعريف بالكتاب والكاتب.

المبحث الثاني: هل هنالك فرق بين عربيّة القرآن وعربّية العرب في جاهليّتهم؟

المبحث الثالث: أبرز موائز عربيّة القرآن.

1. التعريف بالكاتب والكتاب :

- **التعريف بالكاتب :**

عبد الصبور شاهين هو مفكر إسلامي وفقيه لغوي مصري، ولد في (18 مارس 1929)، وتوفي في (26 سبتمبر 2010)، يعتبر من أشهر الدعاة الإسلاميين في مصر والعالم الإسلامي، وهو خطيب مسجد"عمر بن العاص"أكبر وأقدم مساجد مصر سابقا، عمل أستاذا بقسم الدراسات الإسلامية والعربية بجامعة "الملك فهد" للبترول والمعادن فترة من الزمن، له 65 كتابا، ما بين مؤلفات وتراجم ولعلّ أكبرها مفصل لآيات القرآن الكريم في عشر مجلّدات، ومن بين أهم مؤلفاته "أبي آدم"، "دستور الأخلاق في القرآن"، "مفصل آيات القرآن ترتيب معجمي" وكذا "تاريخ القرآن" ، إضافة إلى كتابه الشهير "عربية القرآن" الذي هو محل دراستنا الراهنة[1].

- **التعريف بالكتاب :**

يعد كتاب" عربية القرآن" لعبد الصّبور شاهين أحد أهم كتبه التي عنيت بدراسة اللّغة العربية ولغة القرآن الكريم، نشر هذا الكتاب من قبل "مكتبة الشباب المنيرة "بتاريخ 2009. طرح فيه الكاتب مجموعة من الآراء الفكرية واللّغوية والدينية وقسّمها إلى مجموعة من الفصول والمباحث: استهل الفصل الأوّل بالعلاقة بين لغة العرب ولغة القرآن الكريم والفرق بينهما، ليتطرق الكاتب بعدها إلى قضية اللّغات بأنواعها القديمة والحديثة وتطور هذه اللّغات وتشعبها إلى لهجات وكذا لأخطر الأزمات التي تواجهها اللّغة العربية في ظلّ العولمة والتقدّم التكنولوجي .

[1] www.onefd.edu.dz/infpe.

كما خص القرآن الكريم بنصيب وافر من الدراسة لأنه العامل الأكبر في بقاء اللّغة العربية حية وقيد الاستعمال والتداول وله الفضل في بلوغ هذه اللّغة المقدسة والفريدة درجة النضج والكمال، أمّا في الفصل الأخير فقد عرّج عبد الصبور إلى دراسة موجزة حول لفظة"عقيدة" وعن تداوله بين الباحثين والعلماء.

وقد اعتمد الكاتب في كتابه هذا منهجا اعتمد فيه على الوصف والتحليل والمقارنة، في تقديم هذه الأطروحات، التي عكس فيها تأثره البالغ وتشبّعه بالثقافة العربية والفكر الإسلامي ولقد لاقى كتاب "عربية القرآن"رواجا كبيرا بين المفكرين من علماء اللّغة والباحثين والقراء لما له من قيمة علمية كبيرة، في حقل الإبداعات اللّغوية العربية؛ فهو يبيّن لنا أهمية اللّغة العربية ومكانتها، ودور القرآن الكريم في حفظها من الفناء قرونا، بحيث واجهت به تحديات العولمة، واستطاعت الانتشار في أرض اللّه الواسعة بحفظه سبحانه و تعالى.

2. هل هنالك فرق بين عربيّة القرآن و عربيّة العرب في جاهليتهم؟:

القرآن الكريم هو كلام اللّه تعالى أنزله على رسولنا محّمد _صلّى اللّه عليه و سلّم_لهداية البشرية إلى الدين القويم، فقرأه على الناس ودعاهم إليه وعلّمه لصحابته، الذين آمنوا بدعوته فحفظوه في الصدور ودوّنوه في السطور وعاشوا يهتدون بهديه، ويقتبسون من نوره، حتى تحقق فيهم[1] قوله تعالى :﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمْ الْفَاسِقُونْ﴾ [آل عمران:110].

وقد جاء القرآن عربيا لان اللّه تعالى أنزله على النبيّ العربيّ محمّد _صلّى اللّه عليه وسلّم_ وأمره أن ينذر عشيرته الأقربين[2]، فقال تعالى :﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرْ﴾ [الشورى :7].

تشير الآيتان الكريمتان إلى نزول القرآن الكريم عربيا، لأنّ قوم النبيّ _صلّى اللّه عليه و سلّم_كانوا عربا، فنزل بلغتهم حتى يفقهوا معانيه ويطبّقوا ما جاء فيه .

وبالتالي وممّا سبق يتضح أن أسلوب القرآن الكريم من نفس الألفاظ التي تألف منها كلام العرب، لذا برز فريق يقر هذه الموافقة وعلى رأسهم "زكي مبارك"، الذي يرى "أن القرآن عربي، وقد أنزل على قوم يفهمونه ويتكلمون بلسان عربي، ولهم أدب يقرب في روحه وأسلوبه من روح القرآن "[3].

يرى زكي مبارك أن أسلوب القرآن موافق لكلام العرب وحجّته هي نزوله بلغتهم، وبالتالي فهو يرى أنهما يمتلكان نفس الخصائص.

ومن الباحثين الذين تصدوا لرأي زكي مبارك، نجد عبد المتعال الصعيدي الذي قال:

---

[1]. محاضرات في علوم القرآن:د، غانم قدوري الحمد، دار عمار للنشر و التوزيع، عمان، ط1، 2001، ص: 5.

[2]- المرجع نفسه، ص: 40.

[3]. انظر، فنون البلاغة بين القرآن وكلام العرب:د،فتحي عبد القادر فريد، دار اللواء، الرياض، ط1، 1980، ص: 12.

"إن بلاغة القرآن وبلاغة العرب ونثرهم بينهما من الفرق ما بين عصى موسى والسحر وليس أحدهما من نوع الآخر وإن كانا يجتمعان في جنس النثر "[1].

من خلال القول يتضح لنا أن الكاتب أكد على التباين التام بين الأسلوبين القرآني وكلام العرب، حتى ولو كانا من جنس واحد، وبين أنه لا وجه للمقارنة بين ما هو إلهي وما هو بشري.

وجاء في كتاب "الظاهرة القرآنية " لمالك بن نبيّ: "إنّ الإعجاز الكائن في القرآن الكريم هو في نظمه وبيانه، ومباينة خصائصه للمعهود من خصائص كل نظم وبيان في لغة العرب ثم في سائر لغات البشر "[2].

وفي هذا الصدد يذكر "القاضي عياض" ضمن الأوجه التي يعدها من إعجاز القرآن: "صورة نظمه العجيب، والأسلوب الغريب المخالف لأساليب العرب، ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء عليه، ووقفت مقاطع آيه، وانتهت فواصل كلماته إليه، ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له و لا استطاع احد مماثلة شيء منه، بل حارت فيه عقولهم (...) ولم يهتدوا إلى مثله في جنس كلامهم من نثر أو نظم أو سجع أو رجز أو شعر"[3]

في هذا القول يشير القاضي عياض إلى مباينة القرآن الكريم لأساليب العرب ومناهج نظمهم، ويعد هذا من وجوه إعجازه، فقد جاء بطريقة خارجة عن العادة، لها منزلة في الحسن، فاقت كل طرقهم، بحيث لم يهتدوا على مثله.

ومما فاجئ العرب وحيرهم أنهم وجدوا الألفاظ التي يتكلمونها في تركيب جديد، إذ سمعوا كلاما يتلوه عليهم رجل منهم، من جنس كلامهم، لكنه يباينه، حتى قال فيه "الوليد بن المغيرة: "واللّه إن لقوله لحلاوة وإنّ أصله لعذق، وإنّ فرعه لجناة، وما أنتم بقائلين من هذا

---

[1]. فنون البلاغة بين القرآن وكلام العرب:د،فتحي عبد القادر فريد،ص:14.

[2]. انظر، الظاهرة القرآنية:مالك بن نبي،ترجمة عبد الصبور شاهين،دار الفكر،دمشق،سوريا،ط1987،4،ص:32.

[3]. المرجع السابق، ص: 15.

شيئا إلّا عرف أنه باطل، وإنّ أقرب القول فيه لأن تقولوا: ساحر جاء بقول يفرق بين المرء وأبيه، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجه، وبين المرء وعشيرته"[1]

إنّ الوليد بن المغيرة ورغم أنه كافر لا يؤمن باللّه ورسوله فقد شهد بقوله هذا أن القرآن الكريم ما هو بكلام بشر لبديع نظمه، وخروجه عن المعهود، ولحلاوة لفظه وسرّه في إراحة النفوس.

وليثبت عدم غرابة تفوق القرآن الكريم على أساليب العرب رغم الاتفاق في الألفاظ، عقد دراز موازنة بين الأسلوب وفن البناء، فقال عن صناعة البنيان :"فالمهندسون والبنّاءون لا يخلقون مادة بناء لم تكن في الأرض، ولا يخرجون في صنعتهم عن قواعدها العامة (...) و لكنّهم تتفاضل صناعاتهم وراء ذلك في اختيار أمتن المواد وأبقاها على الدهر وأكنّها للناس من الحر والقرّ، وفي تعميق الأساس وتطويل البنيان "[2]

ثم انتقل إلى توضيح ما يماثل ذلك من صناعة البيان فقال: "كذلك نرى أهل اللّغة الواحدة يؤدّون الغرض الواحد على طرائق شتى يتفاوت حظها في الحسن و القبول، وما من كلمة من كلامهم ولا وضع من أوضاعهم بخارج عن مواد اللّغة وقواعدها في الجملة"[3]

أراد الكاتب من خلال هذا القول أن يبين تعدد أساليب اللّغة ومفرداتها، وأنّ البلاغة تتمثل في وضع كل مفردة موضعها المناسب، وهذا ما يبرّر تفوق اللّغة في القرآن الكريم على أسلوب البشر، حيث استخدمت بدقة، إذ وضع كل مثقال ذرة في موضعها.

لذا حضيت اللّغة العربية بقوة ورقيّ ما كانت لتصل إليه لولا القرآن الكريم، الّذي طوّر ألفاظها وتراكيبها وأساليبها، وفي هذا يقول العلامة "الرافعي"رحمه اللّه :"نزل القرآن الكريم بهذه اللّغة على نمط يعجز قليله وكثيره معا، فكان أشبه شيء في النور في جملة نسقه إذ النور جملة واحدة، وإنّما يتجزأ باعتبار لا يخرجه من طبيعته (...) ولهذا بهتوا لها حتى لم

[1]. الظاهرة القرآنية، ص: 29.

[2]. فنون البلاغة بين القرآن وكلام العرب، ص:19.

[3]. المرجع نفسه:ص: 19.

يتبيّنوا أكانوا يسمعون بها صوت الحاضر أم صوت المستقبل أم صوت الخلود لأنّها هي لغتهم التي يعرفونها ولكن في جزالة لم يمضغ لها شيح ولا قيصوم" [1]

صدق الإمام الرافعي رحمه الله تعالى في اعترافه هذا بقوة اللّغة العربية وحيويتها التي اكتسبتها من القرآن الكريم بحيث اكتسبت شرفا لا يوجد بعده .

وجاء في كتاب "العربية الفصحى" :"أنّ من بين أدلة استقلالية لغة القرآن عن الشعر الجاهلي أنّها لم تتطور في ألفاظها ودلالاتها، وإنّما أنزلت من اللوح المحفوظ، وأنّ كلام اللّه ليس ألفاظا متفرقة كالألفاظ في المعجم، بل هو معاني ملتحمة بألفاظها كسبيكة واحدة لا انفصال لها"[2]

وجاء في نفس المصدر: "وتعتبر ألفاظ القرآن وتراكيبه فصيحة مائة بالمائة، أمّا ألفاظ العربية و تراكيبها ففصيحة بنسبة خمس وتسعين بالمائة، لأنّ بعض ألفاظ العربية حوشي، وقد يكذب بعض الأعراب في روايته أو يتكلّفون [3]

وبالتالي وكما قال عبد الصّبور شاهين : "وممّا لا ريب فيه أن الفرق بين كلام اللّه وكلام البشر، هو كالفرق بين ما تبدعه القدرة من كائن ذي روح وعقل وإبداع، وما تحدثه أصابع الأطفال من عرائس الرمال"[4]

وفي الأخير و من خلال هذه المعالجة اللغوية في توضيح الفرق بين عربية القرآن وعربية العرب، نستنتج أنّ هناك اختلافا كبيرا بين الباحثين في هذه القضية، ونخلص إلى نتيجة مفادها أنّ لغة القرآن الكريم هي أفصح وأبين لغة على وجه الأرض وأنّ هناك بونا شاسعا بينها وبين كلام البشر.

---

[1]. تاريخ آداب العرب: الرافعي، دار الكتب العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1974، ص: 74.

[2]. انظر، العربية الفصحى(مرونتها و عقلانيتها): عودة الله منيع القيسي،دار البداية،عمان،ط1429،1هـ،ص:187.190.

[3]. المرجع نفسه، ص:190.

[4]. انظر، عربية القرآن: د، عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، ص:16.

3. أبرز موائز عربية القرآن:

إنّ القرآن الكريم هو الآية الأولى للرّسول _صلّى اللّه عليه و سلّم_ ودليله الأعظم على نبوته، وهو يحمل الدليل من ذاته على أنّه كلام اللّه تعالى الذي تحدى به الكافرين وأعجزهم، وإعجازه حقيقة قاطعة وبديهية [1]

وكما قال عبد الصبور شاهين في كتابه "عربية القرآن": "فقد ظلّ القرآن الكريم طوال السنوات يتكامل بآياته دون أدنى تناقض أو اختلاف وذلك آية على أنّه بدأ منذ الكلمة الأولى من الوحي يرسل أحكامه [2]، قال تعالى:﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اَللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اِخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النّساء:82].

وفي هذا الأمر جاء في كتاب الظاهرة القرآنية:"ومن بين أهم مميزات العربية التي استخدمها القرآن الكريم أنّها تتسم بالفصاحة والعذوبة، إضافة على القدرة على البيان، ممّا جعلها تكون معدنا للسمو، لتلاؤم رصفها وتشاكل نظامها"[3]

وخير دليل على هذا قصة "الوليد بن المغيرة"حين سمع القرآن الكريم فرق له رقة لم تعرف فيه نحو الإسلام، ولمّا أنكر عليه أبو جهل حاله،قال له الوليد:"و اللّه ما منكم أحد أعلم بالإشعار مني، أعرف رجزها وقصيدها، واللّه ما يشبه الذي يقوله شيئا من ذلك، إنّ له لحلاوة وإنّ عليه لطلاوة، وإنّ أعلاه لمثمر وإنّ أسفله لمغدق، وإنّه ليعلو ولا يعلى عليه، ما يقول هذا بشر"[4]

وهذا لخير دليل على تأثير لفظة القرآن وعذوبتها، وما تحدثه في النفس البشرية من اطمئنان وسكينة، ليسرها وبلاغتها وبديع نظمها ومتانة عبارتها .

---

[1]. انظر، إعجاز القرآن البياني:د،صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار عمار، عمان، ط2000،1، ص: 5.

[2]. عربية القرآن، ص: 69.

[3]. انظر، الظاهرة القرآنية، ص: 36.

[4]. المعجزة الكبرى القرآن: محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، ص:70.

و ممّا ذكره القاضي عياض في وجوه الإعجاز القرآني أنّه حصرها في أربع أوجه و هي كالتالي:"أولها حسن تأليفه والتئام كلمته، وفصاحته وبلاغته الخارقة لما عند العرب وثانيها صورة نظمه العجيب والأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب، وثالثها ما انطوى عليه من الإخبار بالمغيبات، كقوله تعالى:﴿لَتَدْخُلَنَّ اَلْمَسْجِدَ اَلْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اَللَّهُ آَمِنِينْ﴾ [الفتح:22].

وأمّا الرّابع ما أخبر به من أخبار القرون والأمم البائدة"[1].

يوضح هذا القول أنّ من مميزات لغة القرآن جزالة اللفظ وفصاحته وبلاغته، وما يحمله من أمور الغيب، وخلوه من الغريب.

وفي نفس الموضوع ذكر القرطبي من أوجه إعجاز القرآن:"النّظم البديع المخالف لكل نظم معهود في لسان العرب وغيرهم، لأنّ نظمه ليس من نظم الشعر في شيء، لذلك قال ربّ العزّة:﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ اَلشِعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ ﴾ [يس:69]

ومنها الجزالة التي لا تصح من مخلوق بحال من الأحوال، ومنها الإخبار عن الأمور التي تقدمت في أول الدنيا، وعن المغيبات في المستقبل، ومنها الحكمة البالغة التي لم تجر العادة بأن تصدر في كثرتها وشرفها من آدمي، ومنها التّناسب في ما تضمنه ظاهرا أو باطنا"[2]

يضيف القرطبي هنا أنّ النظم البديع للغة القرآن يعد من أهمّ مميّزاتها، وذلك لتناسق كلماتها وفصاحتها وتناسب ظاهرها مع باطنها.

ولنذكر في هذا الصّدد خبر عتبة بن أبي ربيعة، وقد سمع القرآن وهو على الشّرك، فأدرك بذوقه البياني مقام القرآن، وقال مقالة الحق: "واللّه قد سمعت قولا ما سمعت مثله قط، ما هو بالشّعر ولا بالكهانة[1]

---

1. انظر، المعجزة الكبرى القرآن، ص: 90.

2. المرجع نفسه، ص: 93.

هذا الاعتراف من عتبة لدليل على أنّ القرآن الكريم جذب العرب الإيمان بما فيهمن روعة وقوّة و بيان، وإيجاز معجز وأقوال محكمة مملوءة بالعبر في طولها وقصرها.

وبالفعل فكما قال الثعالبي في كتابه "الإعجاز والإيجاز": "فمن أراد أن يعرف جوامع الكلم، و يتنبه على فضل الإعجاز والاختصار، ويفطن لكفاية الإيجاز فليتدبر القرآن الكريم، وليتأمّل علوّه على سائر الكلام[2]، فمن ذلك قوله عزّ ذكره:﴿إِنَّ اَلَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اَللَّهُ ثُمَّ اِسْتَقَامُوا﴾ .

وبالفعل فكلمة "استقاموا"هنا هي كلمة واحدة تفصح عن الطاعات كلها .

وممّا ذكره "محمود محمد شاكر"في شأن الإعجاز:"أنّ قليل القرآن وكثيره في شأن الإعجاز سواء، وأنّ الإعجاز كائن في رصف القرآن وبيانه ونظمه، ومباينة خصائصه للمعهود، وأنّه يتحدى الثقلين معا انسهم وجنّهم إلى يوم الدين"[3].

ومن بين أهمّ اعترافات الغرب على مكانة القرآن الكريم، نذكر قول "جورج سارنوت": "ولغة القرآن على اعتبار أنّها لغة العرب كانت بهذا التجديد كاملة، وقد وهبها الرّسول _صلّى اللّه عليه وسلّم_مرونة جعلتها قادرة على أن تدوّن الوحي الإلهي أحسن تدوين بجميع دقائق معانيه ولغاته، وأن يعبّر عنه بعبارات عليها طلاوة وفيها متانة، وهكذا يساعد القرآن على رفع اللّغة العربية إلى مقام المثل الأعلى في التعبير عن المقاصد"[4]

في قول سارنوت تصريح واضح بعظمة لغة القرآن الكريم، فقد وصفها بأنها كاملة، ويكفيها شرفا على أنّها كانت قادرة على أن تدون الوحي الإلهي مما جعلها في أعلى المراتب.

---

[1]. المعجزة الكبرى القرآن، ص: 73.

[2]. الإعجاز و الإيجاز: أبو منصور الثعالبي، مصر، 1987، ص: 10.

[3]. انظر، الظاهرة القرآنية، ص: 30.

[4]. لغة القرآن الكريم:د،عبد الجليل عبد الرحيم، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، ط1،ص:585.

وجاء في كتاب "أثر القرآن الكريم في اللّغة العربية والتّحديات المعاصرة":"أنّ القرآن الكريم تخير لألفاظه أجمل مل تخف به نطقا في الألسن، وقرعا للأسماع، حتى كأنّها الماء سلاسة، والنسيم رقة والعسل حلاوة، وهو بعد بالمكان الأسمى الذي أدهشهم، وأفهمهم أنّ البلاغة شيء وراء التنقيب والتقعير حتى كانت مفردات القرآن الكريم من اللّغة العربية بمثابة اللّباب وغيرها كالقشور "[1].

وفي هذا قال ابن خالويه:"أجمع الناس أن اللّغة إذا وردت في القرآن، فهي أصح ممّا في غيره"[2].

يريد الكاتب أن يوضح أن لغة القرآن الكريم هي الأصل، وهي الأصح، وهي بمثابة المركز و كل ما حولها ثانوي و تابع لها.

و من بين خصائص عربيّة القرآن أنّه لا يمكن ترجمته لأنّه معجز في بيانه وألفاظه وترجمته إلى لغة أخرى قد لا تقتضي إيصال المعنى، ونقيس على ذلك الأدب والشعر في قول الجاحظ: "الشّعر لا يمكن ترجمته من العربية إلى غيرها، ومن غيرها إليها، لأنّ الشّعر بالدرجة الأولى والأدب الرفيع بالدرجة الثانية هو تعبير عن حالة وجدانية خاصة ويستحيل أن يجد المترجم نفسه في مثل تلك الحالة الخاصة، لكي يأتي تعبيره الفني على مستوى التعبير الفني الذي فاض به وجدان المبدع الأول"[3]

و يضيف" أنّ السّبب هو ليس عدم وجود كلمات دقيقة وإنّما هو عدم تطابق حالة المترجم الوجدانية مع حالة المبدع "[4]

---

[1]. أثر القرآن الكريم في اللغة العربية و التحديات المعاصرة : محمد يوسف الشربجي، (د،ت)،ص: 136.

[2]. نقلا عن: المرجع نفسه، ص: 136.

[3]. العربية الفصحى: د،عودة الله منيع القيسي، ص: ص:213.

[4]. المرجع نفسه، ص:213.

لقد كان الجاحظ ذا ثقافة علمية بارعة في القضيّة فقد بين عدم إمكانية ترجمة القرآن الكريم، لأنّ التّرجمة تميت المعاني، وكيف يترجم جلاله وبهاؤه وتلك الدقّة الكاملة في تلاحم لفظه ومعناه ؟

الفصل الأول

المبحث الأول : الفرق بين اللّغة والبيان.

المبحث الثاني : هل الفصحى المعاصرة تفارق الفصحى القديمة؟

المبحث الثالث : هل أميّة العرب كانت دينيّة أم أميّة قراءة وكتابة؟

1. الفرق بين اللّغة و البيان :

نزل القرآن الكريم بلسان عربيّ مبين، فكان للّغة العربيّة مزيّة لا تتأتّى لغيرها من اللّغات.

فمن أعظم نعم اللّه تعالى على الإنسان نعمة اللّغة، وقد لفت القرآن الكريم الانتباه إلى هذه النعمة[1] في قوله تعالى :

﴿اَلْرَّحْمَنْ، عَلَّمَ اَلْقُرْآنْ، خَلَقَ اَلْإِنْسَانْ، عَلَّمَهُ اَلْبَيَانْ﴾ [الرّحمان:1-4]

تشير الآية الكريمة إلى أنّ اللّغة هي نعمة من نعم اللّه عزّ وجلّ على الإنسان، وخاصية تميّزه عن غيره من المخلوقات، وفي صدد عرض ظواهر رحمة اللّه على خلقه تقرن هذه الآية الشّريفة نعمة اللّغة بنعمة البيان وتربطهما بتنزيل القرآن وتعليمه.

وبالتالي ومن أجل معرفة العلاقة بين هاتين النّعمتين الإلهيتين (اللّغة والبيان)، كان ولا بدّ من التطرّق لمفهوم كلّ منهما، ولتكن البداية مع كلمة اللّغة.

تعدّدت تعريفات اللّغة عند القدامى والمحدثين، العرب والغرب،ومن بين أهم من تطرّقوا لها من العرب، ابن جنيّ(ت392هـ): "حدّ اللّغة أصوات، يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم"[2] يعدّ تعريف ابن جنيّ شاملا، إذ ضمّ أكبر قدر من الحقائق المهمّة عن اللّغة (الطبيعة الصوتية والطبيعة الاجتماعيّة)، فقد عدّها ظاهرة صوتيّة باعتبار أنّ أصغر مكوّن لها هو الصّوت، كما قال بأنّ لها وظيفة اجتماعية؛ لكونها أداة اتّصال بين أفراد المجتمع، يعبّرون بها عن أغراضهم، وبالتالي فهي تختلف باختلاف المجتمعات.

أمّا ابن خلدون فيعرّفها كما يلي:"هي عبارة المتكلّم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام، فلا بدّ أن تصير ملكة متقرّرة في العضو الفاعل له هو اللّسان، وهو في كلّ أمّة بحسب اصطلاحاتها "[1]

---

[1]- انظر،العربيّة وعلم اللّغة الحديث:محمّد داوود، دارغريب، القاهرة،2001، ص:19.

[2]- الخصائص:ابن جنيّ،تحقيق عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1،2005 ،ص:33.

هذا التعريف الخلدوني يشير إلى أنّ اللّغة هي وسيلة اتّصالية إنسانية اجتماعية، يعبّر بها الإنسان عن متطلّباته، وهي نشاط عقلي إرادي، وأنّها تصبح ملكة لسانية بتكرار استعمالها وهي تختلف من مجتمع لآخر حسب ما يصطلح عليه أفراد كلّ مجتمع.

أمّا في الغرب فقد حضيت اللّغة كذلك بنصيب وافر من الدّراسة، وأهمّ من خصّها بالتعريف نذكر العالم السويسري فرديناند ديسوسير (ت 1913م) "منظومة من العلامات الّتي تعبّر عن فكرة ما"[2]

يعتبر سوسير اللّغة نظام من الرموز، فهي تنظيم ذهني مرتبط بعناصر لفظية تحقق التواصل بين الأفراد.

أمّا جاكبسون فيتناول اللّغة" من حيث هي أداة تواصل نستعملها في حياتنا اليومية وكنز لغوي نلجأ إليه عند الحاجة"، فهو يجد فيها ما يطابق تفكيره الثنائي، واللّغة عنده ليست شيئا جامدا يتكوّن من كتلة واحدة، بل هي قسمان يكمّل كل واحد منهما الآخر، ولا وجود لأحدهما دون القسم الآخر وهذان القسمان هما: اللّغة _الهدف(الحسيّة) ،وما وراء اللّغة المجرّدة"[3].

يرى جاكبسون اللّغة أداة للتواصل، ويعدها قسمان: اللّغة الحسية وما وراء اللّغة، بحيث يكمّل كل منهما الآخر، حتى تؤدي وظيفتها على أكمل وجه.

من خلال ما سبق من تعريفات أهم العلماء العرب والغرب، نخلص إلى مفهوم مشترك للّغة، إذ تعدّ ظاهرة اجتماعية وضرورة من ضروريات الحياة، لأنّها أمثل وسيلة يلجأ إليها ليتمّ التفاهم بين الأفراد في كلّ ما يتّصل بحياتهم اليومية والاجتماعية والفنية والأدبية.

وممّا جاء في كتاب "فنون البلاغة بين القرآن وكلام العرب":

1-نقلا عن مجلّة: بحوث في اللّغة والفكر: د،إبراهيم عبد اللّه رفيدة، منشورات كليّة الدعوة الإسلامية، ط2005،1،ص:50.

2محاضرات في الألسنية العامة: فرديناند ديسوسير، تر يوسف غازي، محمد قيمة،المؤسسة الجزائرية 1989،ص:26.

3النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون:فاطمة الطبال بركة، بيروت، ط1993،1 ،ص:40.

"أنّ العرب كانوا أهل لسان وبيان يتبارون في قرض الأشعار، ويتنافسون في حبك الخطب ورصف العبارات، فقد كانوا أهل فصاحة اشتهروا بجودة التعبير وروعة البيان"[1].

إذن فالبيان مرتبط باللّغة، وبالتالي فما هو مدلوله ؟

يعرّفه ابن منظور: "البيان هو الفصاحة واللّسن، أو إظهار المقصود بأبلغ لفظ "[2].

ويقول الزمخشري: "رجل يبين أي فصيح ذو بيان"[3].

من خلال التعريفين نستخلص أنّ البيان هو قواعد يعرف بها إيراد المعنى بطرق متعدّدة ومختلفة .

وجاء في كتاب " العربية الواضحة" ذكر لأهمّ أركان البيان وهي كالتالي :

"التشبيه: وهو عقد مماثلة بين شيئين أو أكثر اشتراكا في صفة أو أكثر بأداة معينة بغرض التقريب بين المتماثلين، نحو:الجندي كالأسد في شجاعته.

الاستعارة: وهي تشبيه حذف أحد طرفيه، مع وجود قرينة تمنع إرادة المعنى الأصلي، قد تكون لفظية أو حالية، و أنواعها : تصريحية، مكنية، تمثيلية .

الكناية وهي لفظ أو تعبير يطلق، ويراد به لازم معناه مع جواز إرادة المعنى الأصلي لعدم وجود قرينة تمنع من إرادته "[4] .

ونظرا لأهمية هذا العلم، وضع عبد القاهر الجرجاني كتابا سمّاه"أسرار البلاغة" بحيث وضع فيه نظريّة علم البيان بقواعده وشعبه وتفريعاته الكثيرة وهو بحث غير مسبوق، إذ يقول:

---

1. انظر، فنون البلاغة بين القرآن و كلام العرب، ص:6.

2. لسان العرب: ابن منظور ،مادة (ب ي ن)، مج 83، ص:68.

3. أساس البلاغة :الزمخشري، ترجمة عبد الرحيم حمود، دار المعرفة، بيروت،1982،ص:35.

4- العربية الواضحة:د،داود غطاشة الشوابكة ، نضال محمد الشمالي، دار الفكر، عمان، ط2، ص:99.

" ولم يتعاط أحد من الناس القول في الإعجاز،إلّا ذكرها و جعلها العمد و الأركان فيما يوجب الفضل و المزيّة ،و خصوصا الاستعارة و المجاز ،فإنّك تراهم يجعلونهما عنوان ما يذكرون و أوّل ما يوردون"[1].

عبد القاهر الجرجاني هنا ينظر إلى أركان البيان من مجاز واستعارة وتشبيه وكناية على أنّها عمد الإعجاز، والأقطاب التي تدور حولها البلاغة.

ويرى أبي مصطفى البغدادي في كتابه "الواضح في علم البيان"أنّ:

"فائدة علم البيان تكمن في الاقتدار على التعبير عن المعنى الواحد بطرق مختلفة، بمعنى أنّ الإنسان يدور في ذهنه معنى معيّن فيريد أن يعبّر عمّا في داخله، فيجد في علم البيان الوسائل والطرق المتعدّدة التي يوصل بها هذا المعنى بأكثر من أسلوب"[2] .

أمّا صلاح عبد الفتّاح فيقول في كتابه "إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الربّاني":

"امتنّ اللّه على الإنسان بأن علّمه البيان ،فقال تعالى:

﴿اَلْرَّحْمَنْ. عَلَّمَ اَلْقُرْآَنْ. خَلَقَ اَلْإِنْسَانْ. عَلَّمَهُ اَلْبَيَانْ﴾ [الرّحمن:1_4].

والبيان هو النطق والكلام، وهو من أظهر نعم اللّه تعالى على الإنسان، لأنّه ضروري له ليعيش حياته، ويحقق الخلافة على وجه الأرض، لذا ميّزه به، ولأجل هذا التمييز جاءت السمة الأولى لآية النبيّ_صلّى اللّه عليه وسلّم_العظمى البيان، فكان القرآن آية بيانية أعجزت الكفار"[3].

وكما قال عبد الصّبور شاهين: "فاللّغة والبيان صنوان متلازمان، ويمكن أن يطلق كل منهما بمعنى الآخر، فاللّغة في الاستخدام الإنساني هي وسيلة للإبانة عمّا في النفس من

1. دلائل الإعجاز: د،عبد القاهر الجرجاني، مكتبة الخانجي، ط5،2004 ، ص:339.

2. الواضح في علم البيان: د،أبي مصطفى البغدادي ، (د.ت،د.ط) ، ص:2.

3. انظر،إعجاز القرآن البياني و دلائل مصدره الربّاني: د،صلاح عبد الفتاح الخالدي، ص:119.

رغبات، وعن الإنسان بكلّ أبعاده، ولولاها لكان الإنسان حيوانا أعجما، ومن هنا امتنّ اللّه عليه فعلّمه البيان، حتّى و لو كان معنى اللّغة أعمّ وأوسع "[1] .

و صرّح تمام حسّان في كتابه الأصول:"أنّ علم البيان ربيب اللّغة،نشأ في حجرها و تغذّى بأفكارها ، وامتدت جذوره في تربيتها،فمكانه من فقه اللّغة كمكان علم المعاني من النحو، لأنّ اختصاص كل من فقه اللّغة وعلم البيان باللّفظ المفرد ينظر إليه فقه اللّغة من حيث علاقته باللّفظ والمعنى والاستعمال، وينظر إليه علم البيان من حيث علاقته بمعناه فقط"[2] .

يرى تمام حسان أنّ البيان مرتبط باللّغة، وهو فرع من فروعها، وهو أداة لفهم اللّغة، فقد اشتهر العرب في الجاهلية بفصاحة اللّسان وروعة البيان، فكانوا يتكلمون لغة راقية فصيحة ومألوفة، حيث كانت لهم القدرة على تمييز الألفاظ والمعاني، وهذه الأساليب سواء ما يتصل منها باللّفظ أو المعنى كانت تردهم في الغالب عفويا، ولعلّ هذا راجع إلى ما فطروا عليه من طبيعة شعرية نعبّر عنها في صورة البيان لذا فقد امتدت جذوره في تربتها .

ويقول محمود محمد شاكر: "أنّ اللّه تعالى منذ خلق سيّدنا آدم _عليه السلام_لأوّل وهلة أودع فيه القدرة على البيان بعمليها في الإبانة والاستبانة، مهيّأة للعمل من فورها وهو يعدّ هذه القدرة حاسة سادسة في بناء الإنسان، وهي أولى من باقي الحواس وأشرف منها وكلّ ما في هذا البنيان خدم لها [3] فلنتدبر قوله تعالى:﴿اقْرَأْ باسْم رَبّكَ اَلَّذي خَلَقْ.خَلَقَ اَلْإنْسَانَ منْ عَلَقْ.اقْرأْ وَرَبُّكَ اَلْأَكْرَمْ اَلَّذي عَلَّمَ بالْقَلَمْ﴾[العلق:1_4].

تتحدّث الآية الكريمة عن خلق الإنسان وإنشائه، و يقترن بذكر الخلق ذكر البيان.

---

1. عربيّة القرآن، ص:13.

2. الأصول :د،تمام حسان،المكتبة الوطنية الجزائرية،القاهرة،2000،ص:325.

3. جمهرة مقالات:محمود محمد شاكر،مكتبة الخانجي،ط1،2003،ص:1160.

وقال أيضا:"ولو تأمّلت قوله تعالى "عَلَّمَ" فسترى الخبر الصادق الذي يكشف عن حقيقة هذا الإنسان "لولا البيان، لخرب هذا البنيان"[1].

وقال أيضا: "اشتدّ لصوق اللّسان بالقدرة على البيان لصوق يستعصي على الفصل والانفصام، لأنّه هو الآن مترجمها الوحيد في البناء كله، وأنّه هو وحده المبلّغ عنها كل ما تنشئه من كلام، ولأنّه هو وحده مظهر عملها المنفرد بالدلالة على كمونها في هذا البناء"[2].

[1]. المرجع نفسه:ص:1168.

[2] المرجع نفسه،ص:1169.

2.هل الفصحى المعاصرة تفارق الفصحى القديمة ؟

من العلوم في تاريخ اللّغات أنّه لا يمكن الفصل في مولد لغة بصورة علمية، فجلّ الأبحاث وفرضياتها تبقى مجرد تخمينات تصب في منحى هو أقرب إلى التحليل الفلسفي.[1]

جاء في كتاب "علم اللّغة" ل"عبد الواحد وافي: "أنّ آراء معظم الباحثين والعلماء أنّ اللّغة نشأت ساذجة في نواحي أصواتها ومدلولاتها وقواعدها وسارت في سبيل الارتقاء.[2]

ويقول "عبد الغفار حامد هلال":"واللغة العربية ومالها من جذور ضاربة في عمق التاريخ وانبساط سلطانها على رقعة متّسعة من وجه الأرض، فإن تحديد عصر طفولتها وحياتها يبقى غامضا كباقي اللّغات، فقد نشأت ضعيفة محدودة الألفاظ تبعا للحياة البسيطة في العصور القديمة، لتكتسب بعدها ثروة من المفردات والتصرفات اللغوية وتصبح لغة ناضجة تلبي متطلبات أهلها حسب كل عصر"

يوضح لنا هذا القول أن اللغة العربية كباقي اللغات نشأت ضعيفة في العصور القديمة بما يتوافق ونمط الحياة آنذاك، ولكنها أخذت في التطور مع العصر، حتى أصبحت لغة ذات سلطان ومكانة[3].

من خلال القول نفهم أنّ اللّغة في تطور مستمر سواء من حيث أصواتها أو دلالاتها أو قواعدها، أي هي لم تبق على الحالة التي نشأت عليها أول الأمر.

كما يقول "السكاكيني: "تصور تطور اللّغة العربية لا يدعمه لا واقع كان في الجزيرة العربية ولا منطق سديد يغوص في أسباب تطور جميع اللّغات الحية والميتة منها على السواء، فاللّغات أكثر تعقيدا في نشوئها وتطورها"[4]

يريد السكاكيني القول بأنّ اللّغة هي مركب معقد سواء في نشوئها أو تطورها.

---

[1]. المدارس اللسانية المعاصرة:د،نعمان بوقرة، مكتبة الأدب، القاهرة، ص: 22.

[2]. علم اللّغة :علي عبد الواحد وافي،القاهرة،ط2004،9،ص:95.

[3]. العربية خصائصها وسماتها:د،عبد الغفار حامد هلال، مطبعة الجبلاوي، ط1990،4،ص:171.

[4]. نقلا عن: العربية الفصحى:عودة اللّه منيع القيسي،ص:46.

وممّن تناولوا قضية اللّغات بالدراسة نذكر "عبد الصبور شاهين" والذي يقول: "وبعد مجيء القرآن الكريم الذي وضع بصمته على هذه اللّغة المعجزة بين اللّغات لتبلغ معه ذروة التطور والكمال، حفظ لها البقاء عبر الزمن، واللّغة العربية هي اللغة التي حافظت على بقائها و سموها بين اللّغات القديمة الأخرى، و التي انسحبت من وجوه الاستعمال بعد أن كانت جارية على لسان الأقوام في أزمان مضت "[1]

يتضح من قول "عبد الصبور" أنّ اللّغة العربية من بين اللّغات التي حافظت على مكانتها ولم تندثر، بل وظلّت في تطور مستمر عبر الزمن، والسّبب الرّئيس الذي ضمن لها هذا البقاء وسط مجموعة من أخواتها التي اندثرت هو القرآن الكريم و الذي نزل بها، فكانت العناية الإلهية تحفظه وتحفظ هذه اللّغة المميّزة.

ويقول المستشرق الأمريكي"رينان" في كتابه "تاريخ اللّغات السامية": "إنّ من أغرب ما وقع في تاريخ البشر وصعب حلّ سرّه انتشار اللّغة العربية، فبدأت غاية في الكمال(...) ولم يدخل عليها إلى يومنا هذا أي تعديل مهم فليس لها طفولة ولا شيخوخة (...) وتلك اللّغة فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها ودقّة معانيها"[2]

يبين لنا هذا القول أنّ اللّغة العربيّة في تطور مستمر، فهي تشهد انتشارا واسعا، فقد اكتسبت ثروة من المفردات والمعاني تفوقت بها على غيرها من أخواتها.

وجاء في كتاب"اللّغة العربية بين جمالها وخصومها": "تتميز اللّغة العربية بكثير من الثبات والاستقرار رغم اقتراضها كثيرا من المفردات والتراكيب الجديدة في ظلّ العولمة و لتطور الراهن، ولا تزال قائمة جوهرها وخصائصها وتراكيبها النحوية ممّا يضمن لها البقاء متجاوبة مع الزمن وعلى نحو متحرك"[3]

---

1. عربية القرآن، ص:19.

2. نقلا عن:اللّغة العربية بين جمالها و خصومها:أنور الجندي، مطبعة الرسالة، بيروت ،(د.ت، د.ط)، ص:26.

3. المرجع نفسه، ص:3.

يبين لنا هذا القول أنه رغم التطور الذي عرفته اللّغة على مستوى مفرداتها و معجمها إلّا أنها لم تتطور على المستوى النحوي الذي بقي ثابتا .

ويقول "هادي نهر"في هذا الصدد:"أمّا القول بأن اللّغة العربية الفصحى القديمة مغايرة للمعاصرة فذلك من ناحية المعجم واكتساب هذه اللّغة المقدسة ثروة من المفردات والتراكيب فالتطور اللّغوي هو أمر حتمي وهو يؤكد أنّ اللّغة تستمد طاقتها وفعاليتها من متغيرات الحياة والنّاطقين بها "[1]

يريد الكاتب هنا أنّ اللّغة الحديثة تفارق اللّغة القديمة من الجانب المعجمي، لأنّ اللّغة تتطور على مستوى معجمها باكتسابها مفردات وتراكيب جديدة .

ويقول نهاد الموسى:"إنّ مستوى النحو بطبيعته بطيء الاستجابة لنواميس التطور إذا ما قيس بمستويات البناء اللّغوي الأخرى من هذه الجهة، كمستوى المعجم؛ فإنّ التغيّر فيه متلاحق، وتغيّر في العربية بالمكان المتعارف"[2]

من خلال قول "نهاد الموسى"نفهم بأنّ التطور الذي تشهده أي لغة من اللّغات إنّما يكون على المستوى المعجمي، أمّا المستوى النحوي فتطوره بطيء .

ويقول موضع آخر:"إنّ مستوى النحو في العربية المعاصرة ما يزال يوازي على وجه التطابق مستوى النحو في العربية الفصحى في الشطر الأكبر من القواعد، ولكن نحو العربية المعاصرة يفارق نحو الفصحى في بعض القواعد والغالب في هذه المفارقة أن نجد النحو المعاصر ينفخ في ظاهرة قديمة كانت محدودة ويروّج لها حتى لَيُغَلِّبُهَا"[3]

---

1. انظر، اللّغة العربية و تحديات العولمة:هادي نهر، جدار الكتاب العالمي، الأردن، ط1،2010،ص:47.

2. الصورة و الصيرورة بصائر في أحوال الظاهرة النحوية و نظريّة النحو العربي:د،نهاد الموسى،دار الشروق،عمان،الأردن،ط1،2003،ص:15.

3. المرجع نفسه،ص:55.

يريد الكاتب هنا أنّ النّحو لم يتطور إذ نجد نحو العربية المعاصرة هو نفسه نحو الفصحى القديمة ما عدا في بعض القواعد .

من خلال كل ما سبق ذكره نصل إلى نتيجة مفادها أنّ الفصحى القديمة تفارق الفصحى الحديثة على المستوى المعجمي إذ تطورت اللّغة على مستوى مفرداتها وتراكيبها مما أكسبها ثروة من الألفاظ و المعاني تعتز وتفتخر بها، إمّا على مستوى النحو فهي بقية ثابتة ومستقرة.

3.هل أميّة العرب كانت أميّة دينيّة أم أميّة قراءة و كتابة ؟

كان العرب في الجاهلية بداة يعيشون في الصحاري، وغاية ما امتازوا به هو إجادتهم فنّ القول نظما ونثرا، فكانوا أهل لسان وبيان.

ولمّا نزل القرآن الكريم على رسول اللّه_صلّى اللّه عليه وسلّم_، وصفهم اللّه تعالى بالأميّين ووصف رسوله_صلّى اللّه عليه و سلّم_بالنبيّ الأميّ[1]في قوله تعالى:

﴿هُوَ اَلَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَ إِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينْ﴾ [الجمعة:2]

وذهب أكثر المفسّرين إلى تفسير كلمة الأمية هنا بالجهل بالقراءة والكتابة لأن النبي _صلّى اللّه عليه وسلّم_ و أغلب العرب كانوا لا يقرؤون ولا يكتبون، وأنّ هذه الأمية هي فضيلة في حقّه _صلّى اللّه عليه وسلّم_لأنّها أدل على صدق ما جاء به[2]، قال تعالى:

﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخَطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونْ﴾[العنكبوت:48]

تشير الآية الكريمة أنّ وصف النبي _صلّى اللّه علي وسلّم_بالأميّ يرجع لإعجاز القرآن فهو دليل على أنّه _صلّى اللّه عليه وسلّم_لم يكتب القرآن بيده ولم يؤلفه، بل هو من عند اللّه تعالى، وحتى لا يكون للمشركين حجّة أو فرصة لتفنيده.

لذا كانت أميّة العرب محلّ جدل و خلاف بين الباحثين، ما إذا كانت أمية قراءة وكتابة كما ذهب أغلب المفسرين نظرا للبيئة التي يعيش فيها العرب، أم أنها كانت أميّة دينية ؟

ومن الذين تناولوا هذه القضية "عبد العالي سالم مكرم" فهو يرى: "أنّ العرب في جاهليتهم كانوا يجيدون القراءة ويحسنون الكتابة، وأنّ المقصود من قوله تعالى:﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِيِّين رَسُولاَ﴾[الجمعة"2].

---

[1] –انظر ،محاضرات في علوم القرآن، ص:49.

[2] –انظر ،المرجع نفسه،ص:50

ليس الأميّة الكتابية ولا العلمية، إنّما الأميّة الدينيّة، أي أنّهم لم يكن لهم قبل القرآن كتاب ديني [1]، ودليل ذلك قوله تعالى:

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّاَ أَمَانِي﴾[البقرة:78].

تشير هذه الآية إلى أنّ العرب في الجاهلية لم يكن لهم كتاب ديني يحتكمون بأحكامه وبالتالي كانوا أميّين من الناحية الدينية.

ومن الآيات التي تثبت الكتابة للعرب،قوله تعالى:

﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرَ الْأَوَّلِينَ اِكْتَتَبَهَا﴾[الفرقان:5]

ومن التي تثبت لهم القراءة[2]،قوله تعالى:

﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تُفَجِّرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ إلى قوله تعالى﴿أَوْ تَرْقَى فِي الْسَمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ﴾[الإسراء:30]

في الآيتان الكريمتان تصريح واضح يثبت فيه القرآن الكريم القراءة والكتابة للعرب؛ أي أنّ جاهليتهم لم تكن علمية إنما كانت دينية، و إلى جانب هذه الأدلّة القرآنية هنالك أدلّة تاريخية تثبت الكتابة للعرب في جاهليتهم، وبخاصة في مكة والمدينة، فمن ذا الذي ينكر كتّاب الوحي، وقد نقل عنه _صلّى اللّه عليه وسلّم_أنّه قال:"قَيّدُوا الْعِلْمَ بِالْكْتَابِ"، فقد كان القرآن الكريم أولى بالتقييد من غيره، حتى قال _صلّى اللّه عليه وسلّم_في الحديث المشهور الذي رواه"أبو سعيد الخذري":"لَا تَكْتُبُوا عَنِّي شَيْئًا إِلَّا الْقُرْآنْ، ومَنْ كَتَبَ عَنِّي شَيْئًا غَيْرَ الْقُرْآنْ فَلْيَمْحُهُ"، خشية أن تختلط ألفاظ الوحي بحديثه"[3]

وكان "زيد بن ثابت"ألزم الصحابة لكتابة الوحي في حياة رسول اللّه _صلّى اللّه عليه وسلّم_لا سيما وأنّه كان جاره في المدينة، فقد روى "ابن أبي داود" عن "خارجة بن زيد"قال:"دخل نفر على زيد بن ثابت، فقالوا: حدّثنا بعض حديث رسول اللّه _صلّى اللّه

[1] الحلقة المفقودة في تاريخ النحو العربي:د،عبد العال سالم المكرم،مؤسسة الرسالة،بيروت،ط1993،2،ص:16.

[2] انظر :القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية:سالم عبد العال مكرم،مؤسسة علي جراح الصباح، ط1978،2،ص:336.

[3] انظر :محاضرات في علوم القرآن،ص:51.

عليه وسلّم_ فقال: ما أحدّثكم؟ كنت جار رسول اللّه_صلّى اللّه عليه وسلّم_فكان إذا نزل الوحي أرسل إليّ فكتبت الوحي"[1]

كل هذه الأدلة تثبت انتشار الكتابة عند العرب، بمعنى أنهم لم يكونوا يجهلونها كلّهم، فقد كان منهم من يقرأ ويكتب.

ولنذهب إلى قول "الجاحظ"في كتابه "البيان و التبيين": "ومن شعراء العرب من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولا كريتا وزمنا طويلا يردد فيها نظره، ويجيل فيها عقله ويقلب فيها رأيه اتهاما لعقله، وتتبعا على نفسه، فيجعل عقله زماما على رأيه، ورأيه عيارا على شعره إشفاقا على أدبه، وإحرازا لما خوّله اللّه من نعمته، وكانوا يسمون تلك القصائد الحوليات والمقلدات والمحكمات، ليصير قائلها فحلا خنذيذا وشاعرا مفلقا"[2]

في نص الجاحظ هذا إيحاء قوي على أنّ من الشعراء من كان يحسن القراءة والكتابة ويستدلّ على ذلك بالمعلقات التي وصلت إلينا في أحسن صورة بعدما نقحها وهذّبها واضعوها.

لذلك كان للعرب في العصر الذي نزل فيه القرآن العظيم، من الشعر القديم المعرق، ومن الشعر المحدث في زمانهم وقبيل زمانهم بقليل، قدر لا يمكن تحديده أو حصره، وكان هذا القدر الوافر ذائعا على ألسنة أهل الجزيرة العربية بكل نواحيها، فكان ملء أيامهم ولياليهم يتناشدونه في كل منزل، يتذوقونه تذوقا بصيرا مرهفا[3]

من خلال كل ما سبق من الدلائل القرآنية والتاريخية وقضية الشعر الجاهلي وصحّته،نخلص إلى نتيجة وهي؛ أنّ العرب كانوا عارفين بفن الكتابة والقراءة.

[1] –محاضرات في علوم القرآن، ص:52.

[2] –البيان و التبيين2:الجاحظ،بتحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون،مكتبة الخانجي،القاهرة،ط7،1998،ص:9.

[3]- انظر،قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام:محمود محمد شاكر،مطبعة المدني،ط1،1997،ص:98.

الفصل الثاني

المبحث الأول : كيف تكوّنت وتشكّلت اللّهجات العربيّة؟

المبحث الثاني : مقياس الصّواب والخطأ في اللّغة.

المبحث الثالث : السلطة والاقتدار اللّغوي في عربيّة القرآن وقواعد النحاة.

1. كيف تكوّنت و تشكّلت اللّهجات العربيّة؟ :

نشأ اللّسان العربي في جزيرة العرب سالما من المخالط، خالصا لأهله، وهم في حلّهم وترحالهم يتناقلونه ملكة، يأخذها الصغير عن الكبير، وكانت لغة قريش أفصح لغات العرب وأسلمها من شوائب العجمة لبعدهم عن بلاد العجم، ثم يليهم في الفصاحة من اكتنفهم من ثقيف وهذيل وخزاعة وبني كنانة وغطفان وبني تميم...الخ[1].

لذا ورد اختلاف الألسنة إلى لهجات ولغات في القرآن الكريم على أنّه آية من آيات اللّه الجارية بين الناس[2]،قال اللّه تعالى:﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ اَلْسَمَاوَاتِ وَاَلْأَرْضِ واِخْتِلَافِ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾ [الروم :2].

تشير هذه الآية الكريمة إلى اختلاف الألسنة والتي تشمل اختلاف اللّغات واللّهجات، وهي آية من آيات اللّه تعالى في خلقه، وبالتالي فما هي العلاقة بين اللّغة واللّهجة؟

جاء في كتاب "العربيّة وعلم اللّغة الحديث"ل"محمد داود": "أنّ العلاقة بين اللّغة واللّهجة هي علاقة عموم وخصوص، حيث تشمل اللّغة الواحدة عدة لهجات متباينة في خصائصها اللّغوية، مع اشتراكها في صفات لغوية أخرى تجمع بينها، ففي العربية قديما نجد لهجات خاصة بقبائل "تميم ،طيء، الحجاز،هذيل"وكلّها تنتمي إلى العربيّة"[3]

ويضيف:"ويقع الترادف في الاستعمال اللغوي بين اللّفظتين:اللّغة واللّهجة، وقد امتدّ استعمال اللّغة بمعنى اللّهجة قرون "[4]

وفي هذا يقول "ابن جماعة"(ت 733هـ):"قد علم أنّ القرآن نزل بأفصح لغات العرب وكلامها"[5]

---

[1]. انظر، اللّحن اللّغوي و أثره في اللّغة والفقه:د،محمد عبد اللّه بن التمين، إدارة البحوث، دبي، ط1،2008، ص:31.

[2]. العربية وعلم اللّغة الحديث، ص:66.

[3]. المرجع نفسه، ص:67.

[4]. المرجع نفسه، ص:68.

[5]. نقلا عن:العربية وعلم اللّغة الحديث، ص:68.

في هذا القول إشارة إلى أنّ كلمة لغة في القديم كانت تستعمل بمعنى اللّهجة، فكانتا مترادفتين.

إذن فما هو مفهوم اللّهجة؟

عرّف "إبراهيم أنيس" اللّهجة بقوله:"هي مجموعة من الصّفات اللّغوية تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة، وبيئة اللّهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل تضم عدة لهجات لكل منها خصائصها، ولكنّها تشترك جميعا في مجموعة من الظواهر اللّغوية التي تيسّر اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض"[1]

وجاء في كتاب "العربية وعلم اللّغة الحديث":"اللّهجة"":يمكن تعريفها بأنها نمط من الاستخدام اللّغوي داخل اللّغة الواحدة، يتميّز عن غيره من الأنماط داخل نفس اللّغة بجملة من الخصائص اللّغوية الخاصة، ويشترك معها في جملة من الخصائص اللّغوية العامة"[2]

ويرى "إبراهيم مدكور"أن اللّهجة استعمال خاص للّغة في بيئة معينة، ولا يكاد ينتشر استعمال لغة حتى تتعدد لهجاتها، فتظهر لهجة الحضر إلى جانب لهجة الريف(...)وتتميز لهجة الشمال من لهجة الجنوب"[3]

من خلال التعريفات الثلاثة السابقة يتضح لنا بأن اللّهجة هي مجموعة من الصفات اللّغوية تميز بيئة معينة عن غيرها داخل نفس اللّغة .

وجاء في كتاب"فقه اللّغة مناهله ومسائله":"أنّ هذه الصفات اللّغوية هي في أكثر الأحيان صفات صوتية تتعلق بتدقيق مخارج الحروف، وكيفية نطقها، ووضع أعضاء النطق مع بعض الأصوات، ومقياس أصوات اللّين، كيفية إمالتها، وكيفية التفاعل بين الأصوات

[1]. في اللّهجات العربية: د،إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة،2003 ، ص:15.

[2]. العربية وعلم اللّغة الحديث: محمد داود، ص:65.

[3]. نقلا عن كتاب:لهجات العرب: د،أحمد تيمور باشا، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1973 ، ص:7.

المتجاورة، حين يتأثر بعضها ببعض، فإذا تفشّت هذه الصّفات في بيئة جغرافية معيّنة رسمت لهجة أهل هذه البيئة بما يميّزها عن سواها من لهجات البيئات المجاورة"[1]

في هذا القول ورد ذكر لأهمّ الصّفات الصّوتية التي تميّز اللّهجات، والمتمثلة في الاختلاف في مخرج بعض الأصوات، وفي وضع أعضاء النطق...الخ.

ولذلك رأى العلماء أنّه : "لابدّ أن تشترك لهجات اللّغة الواحدة في الكثرة الغالبة من الكلمات ومعانيها، وفي معظم الأسس التي تخضع لها بنية الكلمات، وفوق هذا وذاك في تركيب الجمل، فإذا اختلفت معاني معظم كلماتها اتخذت أسسا خاصة في بنية كلماتها وقواعد خاصة في تركيب جملها، لا تسمى حينئذ لهجة، بل لغة مستقلة، إن ظلّت تتصل وغيرها بوشائح تجعلها تنتمي إلى فصيلة واحدة من الفصائل اللّغوية."[2]

يتضح لنا من خلال القول أنّه إذا اتسعت السّمات بين لهجتين معينتين كثيرا، وكانت الاختلافات بينهما بينة، تتحوّلان إلى لغتين، ولا تعودان تسميان لهجتين.

وقد عرفت اللّغة العربية اختلاف اللّهجات منذ العصر الجاهلي، فقد كان لكل قبيلة من قبائل العرب الكبرى كقريش وتميم وطيء وهذيل وغيرها لهجتها المختلفة عن سائر لهجات القبائل، مع اختلافات يسيرة تتعلق مثلا بالحركات نحو:"نستعين "بفتح النون وكسرها وبالتقديم والتأخير نحو :صاعقة وصاقعة، وبالفتح والإمالة نحو:قضى ورمى فبعضهم يفخم والآخر يميل[3]

وجاء في كتاب "لهجات العرب"ذكر لأهمّ اللّهجات العربية:"القطعة:وهي لثغة في بني طيء، فهم يقولون:يا أبا الحكا، ويريدون بها :يا أبا الحكم فيقطعون كلامهم، العجعجة:في قضاعة، وهي إبدال الياء المشددة والمخففة جيما، نحو :تميمج في تميمي، العنعنة:في بني تميم، وهي إبدال العين من الهمزة، نحو:أشهد عنّك، في أشهد أنّك، الكشكشة:في بني

[1]. انظر،فقه اللّغة مناهله ومسائله: د،محمد أسعد النادري، المكتبة العصرية، بيروت،2009، ص:11.

[2]. في اللّهجات العربية: د،إبراهيم أنيس، ص:17.

[3]-فقه اللغة مناهله ومسائله: د،محمد أسعد النادري، ص:12.

سعد وهي إبدال الشين من كاف الخطاب، نحو:عليش في عليك، الكسكسة: و قيل أنها لتميم، وقيل لهوازن، وهي قلب كاف المؤنث سينا نحو: مررت بكس في مررت بك."[1]

كانت هذه بعض اللّهجات التي كانت سائدة بين العرب إلى جانب لهجة قريش.

وكما ورد في كتاب"قضايا لسانية وحضارية":"فالاختلاف لم يكن فقط يتعلق بالحركة التي في آخر الكلمة، بل كان كذلك في أوّل الكلمة ووسطها، ومثال ذلك:أنّ تميم كانت تقول (اتخذت) وكانت الحجاز تقول (تخذت) دون ألف، وكانت كذلك تميم تقول: (حَصَادْ) على وزن (فَعَالْ)، أمّا الحجاز فكانت تقول (حِصَادْ)على وزن (فِعَالْ)."[2]

يقول "السيوطي":"وقال القالي في أماليه: حدّثنا ابن دريد حاتم قال: جاء عيسى بن عمر الثقفي ونحن عند أبو عمر بن العلاء فقال: يا أبو عمرو ما شيء بلغني عنك تجيزه ؟ قال: وما هو؟،قال : بلغني أنّك تجيز"ليس الطيّبُ إلاّ المسكُ "بالرفع، قال أبو عمرو:ذهب بك يا أبا عمرو، نمت و أدلج الناس، ليس في الأرض حجازي إلا وهو ينصب، ولا في الأرض تميميّ إلا وهو يرفع"[3]

تظهر هذه القصة أنّ الخلاف في الأداء اللّغوي الذي كان بين القبائل كان أكثر مما هو خلاف حول الحركات مما فتح الباب واسعا أمام النحاة.

وجاء في كتاب"فصول في فقه العربية":"تضرب لهجة قريش في مميزات اللّغة الفصحى بسهم وافر، إذ لم يرو لنا عن هذه اللّهجة شيء يخالف ما نعرفه عن العربية الفصحى إلاّ القليل، ومنه أنّها لم تكن تهمز في كلامها، لذلك لا نعجب عندما نرى بعض اللّغويين العرب يجعل العربية الفصحى مرادفة للهجة قريش"[4]

---

1. انظر،لهجات العرب:د،أحمد تيمور باشا، ص:13،15،39،61،70

2- انظر،قضايا لسانية و حضارية:د،منذر عياشي ،دار طلاس، دمشق، ط1991،1، ص:104

3- نقلا عن: قضايا لسانية و حضارية:د،منذر عياشي ،ص:105.

4- انظر،فصول في فقه العربية2:د،رمضان عبد التواب،مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1994،3، ص:108.

كما يروي "السيوطي "عن الفرّاء أنّه قال: "كانت العرب تحضر المواسم في كل عام وتحج البيت في الجاهلية، وقريش يسمعون لغات جميع العرب، فما استحسنوه من لغاتهم تكلموا به، فصاروا أفصح العرب، وخلت لغاتهم من مستبشع اللّغات ومستقبح الألفاظ"[1]

من خلال القول نكتشف أنّ اللّغة الفصحى تشكّلت من الاحتكاك بين أفراد القبائل في مواسم الحجّ والتّجارة، فكانت قريش تنتقي ما تستحسنه من اللّغات فتكوّنت بذلك هذه اللّغة المشتركة الفصيحة.

وقال في هذا "عبد الصّبور شاهين":"وقد كان توحد اللّهجات العربية في المستوى الأدبي في صورة اللّغة المشتركة مقدّمة لابدّ منها لنزول القرآن بتلك اللّغة المختارة الصافية، فلم نجد في عبارة القرآن الكريم أثرا من آثار اللّهجات الكثيرة، وإنّما كانت عبارته دائما خالصة من الأوشاب اللّهجية"[2]

والسؤال المطروح هو :كيف تتكوّن هذه اللّهجات؟

ورد في كتاب "في اللّهجات العربية "ل"إبراهيم أنيس":"أنّ هناك عاملان رئيسيان يعزى إليهما تكون اللّهجات في العالم وهما:الانعزال بين بيئات الشعب الواحد والصّراع اللّغوي نتيجة غزو أو هجرات؛ فحين تتّسع رقعة لغة ما وتفصل بين أراضيها عوامل جغرافية أو اجتماعية تتشعب هذه اللّغة إلى لهجات، لقلّة الاحتكاك بين أبناء الشعب الواحد، وكذلك عندما يغزوا شعب أرضا ما يتكلّم أهلها لغة أخرى، فإمّا أن تزول إحدى اللّغتين أو تنشأ لغة مشتقة من كليهما "[3]

أمّا في كتاب"العربية وعلم اللّغة الحديث":"فقد ورد أن نشأة اللّهجات تعود لمجموعة من العوامل: 1/السياسة:فلابدّ من اختيار لغة رسمية في البلاد تفرضها الحكومة على الشعب،فهذا النّظام اللّغوي يعتبر هو الفصيح وغيره لهجة وإن كانت العربية مصونة من هذه

---

[1]- نقلا عن: فصول في فقه العربية2:د،رمضان عبد التواب،ص:109.

[2]. عربية القرآن، ص:46.

[3]- انظر،في اللّهجات العربية، ص:21.

التأثيرات لارتباطها بالقرآن الكريم، 2/الاجتماعية: ولها دور بارز في نشأت اللّهجات، لأنّ النّاس داخل المجتمع متفاوتون طبقيا، وكذا الأداء اللّغوي فهو يتباين من طبقة لأخرى"[1]

وجاء كذلك:"3/الجغرافية: والّتي لها دور في نشأة اللّهجات وخاصة في القديم، فالحضري تختلف بيئته عن الريفي، والمناطق المعزولة تحافظ على لهجتها عكس المتواصلة، مثال ذلك: مدن القناة والإسكندرية تتميز لهجتهم عن القاهرة، 4/الحضارية: فتتمثل في العلم والثقافة، اللّذان لهما دور في تكوين الشخصية وتشكيلها عقليا ونفسيا، ولهذا التشكيل أثره على اللّغة"[2]

من كلّ ما سبق نخلص إلى أنّ اللّهجات تتعرض لمؤثرات اجتماعية، سياسية حضارية و غيرها من المؤثرات فهي مرتبطة بأهلها فتضعف بضعفهم و ترقى برقيهم.

[1]. انظر،العربية و علم اللّغة الحديث:د،محمد داود، ص:74.

[2]. المرجع نفسه، ص:74.

2. مقياس الصواب و الخطأ في اللّغة:

سادت اللّغة العربيّة الجزيرة العربيّة قبل الإسلام بقرنين من الزمان تقريبا مستخدمة في الشعر والخطب والأمثال استخداما يمكن أن نعدّه موحّدا بين شعراء القبائل المختلفة وخطبائها، وإن وجدت هناك فروق لغوية يسيرة تشير إلى خلافات لهجية معينة [1]

ويرى "تمام حسان": "أنّ اللّغة العربية قبل الإسلام كانت محليّة محدودة الأفق الفكري وذلك لأسباب منها ما تفرضه الحياة الصحراوية من عزلة تحول بين البدو ومعرفة أحوال الأمم الأخرى، ومنها شظف العيش، إذ لا يجد المرء معه متّسعا إلا للرّعي، أو الغارة على الجيران، ولكن على الرغم من هذا القصور، وهبت هذه الحياة العربي اعتدادا بذاته،فكان هذا منجما للشعر الجاهلي بما فيه من فخر بالنفس والقبيلة، وبالتالي لم تأذن هذه العزلة الصحراوية لألفاظ غير عربيّة أن تجد طريقها إلى هذا الشعر، لذا لم يكن هناك شك في عربيّة ألفاظه "[2]

من خلال قول تمّام حسان نخلص إلى أنّ اللّغة العربية قبل الإسلام كانت لغة فصيحة وخير مثال على هذا هو الشعر الجاهلي، وذلك لأن حياة العربي كانت محصورة في الجزيرة العربية، ولم تتعدها إلى غيرها من الأمم الأخرى بسبب ظروف المعيشة آنذاك،وبالتالي لم تختلط الألفاظ العربية بأيّة ألفاظ أعجمية.

فقد كان الأدباء و الشّعراء من سائر القبائل يلتزمون قوانين الفصحى المشتركة، لا ينحرفون عنها أبدا، فكان العربي مهتمّا بالمستوى الصّوابي، ولم يكن المجتمع يعرف آنذاك قواعد محددة، ولكن الذّوق الحاكم الناقد كان خير ألف مرّة من قواعد شديدة التعقيد"[3]

---

1. انظر،الدراسات اللغوية عند العرب: د، محمد حسين آل ياسين،منشورات دار مكتبة الحياة،بيروت، ط1980،1،ص:27

2. انظر، مقالات في اللغة والأدب: د، تمام حسان، ج2، نشر و توزيع عالم الكتب، القاهرة،ط2006،1 ،ص:12،14.

3. انظر، عربية القرآن، ص:56.

ولمّا جاء الإسلام، وفي عهد الرّسول_صلّى اللّه عليه وسلّم_ دخل طائفة من الموالي والعبيد الذين لا ينتسبون إلى أصل عربي إلى الإسلام، وتعلّموا اللّغة العربية محاكاة و تقليدا، غير أنّ ألسنتهم لم تنطق بعربيّة خالصة لأنّ اللّكنات الأعجميّة كانت تسيطر على هذه الألسنة فظهر ما يسمى باللّحن[1]

ويقول "الطيب الحلبي"(351هـ)في هذا الصّدد: "واعلم أن أوّل ما اختلّ من كلام العرب فأحوج إلى التعلم الإعراب، لأنّ اللّحن ظهر في كلام الموالي والمتعرّبين من عهد النبيّ_صلّى اللّه عليه وسلّم_"[2]

وعبّر أبو بكر الزبيدي(ت 379هـ)عن هذه الحقيقة على نحو أكثر تفصيلا حيث قال: "ولم تزل العرب تنطق على سجيتها في عصر إسلامها و ماضي جاهليتها حتى أظهر اللّه الإسلام على سائر الأديان، فدخل الناس فيه أفواجا أقبلوا إليه إرسالا، واجتمعت فيه الألسنة المتفرقة، واللّغات المختلفة ففشا الفساد في اللّغة العربية"[3]

من خلال القولين السّابقين يتضح لنا أنّ العرب كانت تنطق بلغة سليمة فصيحة، وذلك بالسّليقة التي فطرت عليها، إلى أن جاء الإسلام واختلط غير العرب بالعرب، ممّا أدّى لظهور اللّحن .

وممّا يدعّم هذا الرأي قول ابن الأثير:"فكان اللّسان العربي عندهم صحيحا محروسا لا يتداخله الخلل ولا يتطرق إليه الزّلل، إلى أن فتحت الأمصار وخالط العرب غير جنسهم فاختلطت الفرق وامتزجت الألسن"[4]

يؤكّد قول ابن الأثير أنّ اللّحن أصاب اللّغة بعد اختلاط العرب بغيرهم .

فما هو اللّحن إذن ؟

---

1. القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية:عبد العال سالم مكرم،مؤسسة علي جراح الصباح،الكويت،ط2،1978،ص:47.

2. نقلا عن: أبحاث في العربية الفصحى:د، غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمان،ط1 ، 2005، ص:16.

3. المرجع نفسه، ص: 16.

4. نقلا عن: الدراسات اللغوية عند العرب: د، محمد حسين آل ياسين، ص: 28.

يقول ابن منظور: "في اللّحن (لحن)اللّحن: من الأصوات المصوغة الموضوعة وجمعه ألحان ولحون، لحّن في قراءته إذا غرّد وطرّب فيها بألحان، وفي الحديث:"اقرءوا القرآن بلحون العرب، وهو ألحن الناس إذا كان أحسنهم قراءة أو غناء".

واللّحْن واللّحَن واللّحانةُ واللّحانية : ترك الصّواب في القراءة والنشيد ونحو ذلك، لحن يلحن لحنا ولحَنا ولحونا، ورجل لاحن ولحّان ولحّانة وألحنُة: يخطئ (...) ألحنه القول :أفهمه إيّاه، وفي الحديث: "أنّ النبي _صلّى اللّه عليه و سلّم _قال:"إنّكم تختصمون إليّ ولعلّ بعضكم أن يكون ألحن بحجّته من بعض، أي أفطن لها وأجدل (...)، يقول: و كأنّ اللّحن في العربية راجع إلى هذا لأنّه من العدول إلى الصواب"[1]

ويرى "سالم عبد العال مكرم": "أنّ اللّحن في هذا العهد كان ظاهرة قبيحة، تنفر منها الطباع ولا تستريح إليها النفوس، لأنّها إخلال بسلامة اللّغة، وتحطيم لمقاييسها، لذلك لا نعجب حينما نرى أنّ عمر بن الخطاب_رضي اللّه عنه_أمر بجلد من وقع في اللّحن كأنه إثم لا يكفر إلا بالجلد والتعذيب والحرمان من الرزق" [2]

فقد كتب كاتب لأبي موسى الأشعري إلى عمر و كتب"من أبو موسى "فكتب إليه عمر "سلام عليك، أمّا بعد فاضرب كاتبك سوطا واحدا، وأخّر عطاءه سنة ."[3]

في قول سالم عبد المكرم هذا إشارة إلى خطورة هذه الظاهرة المسماة باللّحن والتي استفحلت في اللّغة العربية و أخلّت بسلامتها.

وممّا روي أن وافدا جاء إلى النبيّ_صلّى اللّه عليه و سلّم_فلمّا قام خطيبهم بين يديه يتكلم لحن في كلامه فاستفظعوا لحنه، وظهر ذلك في وجه النبيّ_صلّى اللّه عليه و سلّم_أيضا، وقال للوفد: ارشدوا أخاكم فقد ظلّ"[4]

---

[1]. لسان العرب:ابن منظور،المجلّد الثامن، طبعة دار الحديث بالقاهرة، 2003، ص:53،54،55.

[2]. انظر، القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، ص:48.

[3]. نقلا عن: المرجع نفسه، ص:48.

[4]انظر ، الدراسات اللغوية عند العرب:د، محمد حسين آل ياسين، ص:33.

ولما ازداد الفتح وانتقل إلى أطراف الجزيرة العربية انتشر اللّحن إلى نطاق واحد واسع وقيل أن أوّل لحن ظهر بالأمصار قولهم "حيّ على الصلاة"و أوّل لحن سمع في البادية قولهم "سقطت عصاتي"[1]

تسرب هذا اللّحن إلى القرآن الكريم الذي إليه المرجع في الدين واللّغة، واللّحن فيه قد يخلّ بمقاصد الآيات، ويغيّر من معناها، ومثال ذلك قصّة أبي أسود الدؤلي حين سمع قارئا يقرأ قوله تعالى :﴿إِنَّ اَللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ اَلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولَهُ﴾ [التّوبة:3]

بالكسر فقال:حاشا للّه أن يبرأ من رسوله، ما كنت أحسب أمر الناس صار إلى هذا ؟[2]

ومن صور هذا اللّحن في غير القرآن الكريم نجد الجاحظ يعقد في كتابه "البيان و التبيين" بابا من لحن البلغاء يعرض فيه صور هذا الوباء الذي تسرب إلى الناس.

روى الجاحظ: "ارتفع إلى زياد رجل وأخوه في ميراث، فقال :إنّ أبونا مات، وإنّ أخينا وثب إلى مال أبانا فأكله، فأمّا زياد فقال: الّذي أضعت من لسانك أضر عليك مما أضعت من مالك، وأما القاضي فقال: فلا رحم اللّه أباك، ولا نيّح عظم أخيك، قم في لعنة اللّه"[3]

هذه أدلة قاطعة على استفحال هذه الظاهرة في الأوساط اللّغوية، لأنّها تسربت إلى عامة الناس، واقتحمت ألسنة البلغاء، فكانت كالوباء الذي يهدد الأمة العربية بالاندثار.

وكما يرى "عبد الصبور شاهين": "أنّه لما جاء علم تدوين اللّغة، وفرضت مجموعة من القواعد الخاصة ببعض اللّهجات على لهجات أخرى، نشأت هنا فكرة "الصواب والخطأ في اللّغة" فكانت مرتبطة بقواعد النحو الموضوعة مما أدّى لنشوب حوادث إبّان ذلك العصر بين النحاة و الشعراء"[4]

---

1. المرجع نفسه، ص:34.

2. انظر، الدراسات اللغوية عند العرب، ص:34.

3. البيان والتبيين:الجاحظ، ج2، تحقيق وشرح د،عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي،القاهرة، ط1998،7، ص:222.

4. انظر، عربية القرآن، ص: 58.

وكما جاء في كتاب فقه اللّغة لرمضان عبد التواب :"لم يكن كثير من هؤلاء اللّغويين والنحويين، يعرف بما يسمّى "الضرورة الشعرية" فما إن يجدوا شاعرا خرج عن المألوف في القواعد يلتمسون له المعاذير والحيل، ومثال ذلك :عندما مرّ الفرزدق بعبد اللّه بن أبي إسحاق الحضرمي فأنشده :

و عضّ زمان يا بن مروان لم يدع من المال إلاّ مسحتُ أو مجلفُ

فقال له عبد اللّه :علام رفعت ؟فقال له الفرزدق:على ما يسوءك ؟"[1]

في هذه العبارة نجد تحديا بين هذا النحوي الملتزم بالقواعد، وبين هذا الشّاعر المعتز بأبياته ، فعبد اللّه نقد الفرزدق لأنه خالف القاعدة النحوية، التي تقتضي نصب المعطوف على منصوب (مسحتًا أو مجلفًا).

ولمّا نعود مرة أخرى إلى ضروريات الشعر، نقول: أنّ الشاعر قد يضطره الوزن أيضا إلى تحريك ما يجب إسكانه، محافظة على موسيقى الشعر، لكن حينئذ يتأوله النحويون ومن ذلك ما رواه "أبو زيد الأنصاري" من قول الشاعر:

مِنْ أَيِّ يَوْمَيَّ مِنَ الْمَوْتْ أَفِرُّ أَيَوْمَ لَمْ يُقْدَرَ أَمْ يَوْمَ قُدِرْ

فالشاعر هنا فتح الراء من (يُقْدَرَ)وحقّها الجزم بلم."[2]

ونجد ابن جني لا يعترف بهذه الضرورة فيقول :"لكن القول فيه عندي أنه أراد:(أَيَوْمَ لَمْ يُقْدَرْ أَمْ يَوْمَ قُدِرْ)، ثم خفف همزة :أَمْ، فحذفها وألقى حركتها على راء(يقدر)، فصار تقديره(أَيَوْمَ لَمْ يُقْدَرَمْ) ثم أشبع فتحة الراء فصار تقديره (أيوم لم يُقْدَرَامْ)، فحرّك الألف لالتقاء الساكنين فانقلبت همزة فصار تقديره (يُقْدَرَأَمْ)، واختار الفتحة، إتباعا لفتحة الراء"[3]

لم يعترف ابن جني هنا بالضرورة التي ألجأت هذا الشاعر إلى نصب المجزوم، وهذا دليل على أنّ النحاة كانوا بالمرصاد للشعراء .

---

[1]. انظر، فصول في فقه العربية2، ص:156.

[2]. نقلا عن: المرجع نفسه: ص:167.

[3]. نقلا عن: فصول في فقه العربية2، ص: 168.

أمّا في هذا العصر فيرى "نعمة رحيم العزاوي ": "أنّ العربية تلقى على أقلام الكاتبين صنوفا من التغيير والانحراف لم تعرفه من قبل، والخطأ الذي تعانيه ليس فقط خطأ في الإعراب، وإنّما أصبح في البنية أو الصيغة، ومن أمثلة ذلك :يكتب الأدباء "الشريعة السمحاء" والصواب"الشريعة السمحة"، و يكتبون "اختص فلان بالكيمياء" بدل "تخصص فلان بالكيمياء"، لأنّ اختص بها تعمي انفرد بها "[1]

ويرى كذلك:"أنّه إزّاء هذه الأخطاء أصبح من الضروري على الأدباء أن يعنوا بتقويم ألسنتهم، لتصحّ أقلامهم، وأن يلتمسوا عدة مصادر أولها القرآن الكريم لأن لغته هي المثلى وكذا كلام العرب ونعني به الشعر والنثر القديمين اللّذين ضمّتهما الدواوين، وكذلك كتب التصحيح اللّغوي التي عنيت بتصحيح الخطأ وتقويم اللّسان"[2]

هذا الرأي هو دلالة على أنّ تقويم اللّسان ثقافة ضرورية لكل أديب حتى تسلم الأجيال السابقة.

[1]. انظر، فصول في اللغة والنقد:د،نعمة رحيم العزاوي،المكتبة العصرية،بغداد،ط2004،1،ص:57.

[2]المرجع نفسه، ص:60.

3. السلطة و الاقتدار اللّغوي في عربية القرآن و قواعد النحاة:

نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين، ومن ثم كانت المعجزة القرآنية أنّ هذه اللّغة التي عكف عليها العرب لتجويدها قد تنزلت من عند اللّه تعالى بكلامه ليعبّر عمّا يبلغه إدراكهم و ما تتدبرهم عقولهم، في مستوى لا تبلغه قدرتهم إلى المحاكاة، رغم أنّ الألفاظ والأدوات واحدة، لأنّ تشكيل الألفاظ والمعاني والتراكيب في الوحي الإلهي هو الآية العظمى فوق كل منال "[1]

وكما جاء في مقال "محمد حسن عوّاد""قراءة في كتاب نظرية النحو القرآني": "فالقرآن الكريم هو ذروة الفصاحة والإعجاز والسّلامة اللّغوية، يحتجّ به في إقامة القواعد الكليّة للّسان العربي، وهذا الحكم هو من البداءة العلميّة التي لا تحتاج إلى بيان"[2]

في هذا القول تصريح بأن إعجاز القرآن الكريم وفصاحته وأساليبه، جعلته على رأس النصوص التي يحتج بها في إقامة قواعد اللّسان العربي.

وصرّح "السيوطي"في كتابه "الاقتراح في علم أصول النحو":"بجواز الاحتجاج بالقراءات القرآنية سواء أكانت متواترة أم آحادا أم شاذة في إقامة القواعد الكلية للّسان العربي، ما لم تخالف قياسا معروفا"[3]

بل وذهب إلى أبعد من هذا وقال:"ولو خالفته يحتج بها"[4]

في قول السيوطي هذا تحدي لمن وصف القراءات القرآنية بالشذوذ أو اللّحن، وهو يجيز الاحتجاج بكل القراءات.

ويقول " أحمد عبد الستار الجواري" في هذا الشأن:"القرآن هو الخليق بأن تكون أساليبه وتراكيبه المثال الذي يقتدي به ينحى نحوه، ولكن الذي كان ممن وضعوا النحو أوّل الأمر

1- انظر،عربية القرآن، ص:76.

2. انظر،قراءة في كتاب"نظرية النحو القرآني":د، أحمد مكي الأنصاري،تحقيق محمد حسن عواد،مج7،2011،ص:137

3. انظر،الاقتراح في علم أصول النحو:السيوطي جلال الدين عبد الرحمان،تج أحمد محمد قاسم،القاهرة،ط1،1976،ص38

4. المرجع نفسه،ص:38.

غير ذلك فقد اشتطت بهم السبل، واعتمدوا في وضع قواعد النحو على ما بلغهم من كلام العرب شعره ونثره ورجزه، فتصوّروا القاعدة قبل استقراء المادة اللّغوية وحاولوا أن يجعلوا للقواعد المجردة سلطانا على المروي المأثور، ويحسبون ذلك هو الصواب، وما هو إلا مجانبة الصواب "[1]

ويقول في موضع ثان:"فقد كان خليقا بمن وضعوا النحو وأسّسوا قواعده أن تكون المادّة القرآنية أهم ما يقيمون عليه تلك القواعد، ويستندون إليه في وضع النحو، لأنّ أسلوب القرآن وتركيبه مبرّأ من الضرورات والشواذ التي حفل بها الشعر"[2]

ينادي عبد الستار هنا بأن يكون القرآن الكريم و تراكيبه هي الأصل الذي يقتدى به في وضع قواعد النحو، لأنّه خال من الشواذ، وليس كما فعل النحاة الذين وضعوا القواعد على كلام العرب من نثر وشعر بما فيه من شواذ.

ويقول "تمام حسّان"في كتابه"اللّغة بين المعيارية و الوصفية":"و ما كان أولى الدراسات اللّغوية العربية أن يقتصر أخذها على القرآن والحديث، وأن تعتبر دراسة القواعد فيها دراسة لمرحلة معينة"[3]

نفهم من قول تمام حسان أم إقامة قواعد اللّسان العربي تقضي بالاقتصار على القرآن الكريم.

ويرى "عبد الستار الجواري"في كتابه نحو القرآن:"أنّ من أشنع سقطات النحاة أنهم كانوا مهازيل في الرواية فإن في كتب النحو كثيرا من القواعد قامت على شواهد لا يعلم قائلها "[4]

---

[1]–انظر،نحو القرآن:د،أحمد عبد الستار الجواري،الناشر مكتبة اللّغة العربية،بغداد،1974،ص:7.

[2] –المرجع نفسه،ص:9.

[3] –اللّغة بين المعيارية و الوصفية:د،تمام حسان،مكتبة الأنجلو المصرية،ط1958،1،ص:78.

[4] –نحو القرآن، ص:10.

في هذا القول إشارة إلى ضعف القواعد التي وضعها النحاة بناءا على ما سمعوه من كلام العرب لأنّ هؤلاء النحاة كانوا مهازيل في الرواية وأقاموا قواعدهم على شواهد غريبة غير معروفة.

وجاء في كتاب "إعجاز القرآن البياني و دلائل مصدره الرباني":"أنّ القرآن الكريم جاء متحديا للعرب الكافرين المتقدمين في الفصاحة والبلاغة، والمعاصرين لنزوله و قد عجزوا عن معارضته وصار معجزا لهم، وبما أنهم قد عجزوا وهم الأقوياء المتفوقون في البيان كان غيرهم من الناس أضعف وأعجز، لذا فالقرآن الكريم معجز لكافة المخلوقين انسهم وجنّهم حتى قيام الساعة"[1]

في هذا القول إشارة إلى إعجاز القرآن الكريم و تحديه للبلغاء و الفصحاء، الذين وقفوا أمامه عاجزين رغم تفوقهم البياني .

ويلخّص "الخطابي" رأيه في إعجاز القرآن بقوله:"واعلم أن القرآن إنما صار معجزا لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمنا أصحّ المعاني"[2]

يرى الخطابي في قوله هذا أنّ إعجاز القرآن الكريم يكمن في فصاحة ألفاظه وورودها في أحسن نظم، محتوية أصح المعاني.

أمّا "القاضي الباقلّاني "فقد ذكر في كتابه"إعجاز القرآن":"من تلك الوجوه ما قد بيّنا أنّ الإعجاز يتعلق به كالبيان، فالقرآن أعلى منازل البيان، وأعلى مراتبه، مما جمع وجوه الحسن وأسبابه وطرقه وأبوابه، من تعديل النظم وسلامته وحسنه وبهجته، وحسن موقعه في السمع و سهولته على اللّسان(...)وقد ينبئ الكلام عن محل صاحبه، ويدلّ على مكان متكلّمه، وينبّه على عظيم شأن أهله وعلى علو محله"[3]

[1] . انظر،إعجاز القرآن البياني و دلائل مصدره الرباني:د،صلاح عبد الفتاح الخالدي،ص:72

[2] . نقلا عن:محاضرات في علوم القرآن:د،غانم قدوري الحمد،ص:24.

[3] . نقلا عن:مداخل إعجاز القرآن:د،أبو فهر محمود محمد شاكر،مطبعة المدني،القاهرة،ط2002،1،ص:104.

يتحدث الباقلاني هنا عن إعجاز القرآن وبيانه، فهو أعلى منازل البيان، مماّ جعل نظمه سليما وحسنا، وسهلا على الألسنة غير مستصعب.

وذكر "عبد الستّار الجواري" أمثلة عن القواعد التي وضعها النحاة فقالوا "إنّ التركيب لابد أن يشتمل على ركنين:مسند و مسند إليه أو موضوع ومحمول، وذلك هو المبتدأ والخبر والفعل و الفاعل، فإذا حذف أحدهما فعلى نية ذكره، ولابدّ حينئذ من التقدير، وقالوا إنّ المعمول لابد له من عامل يلتمس في التركيب فإذا وجدوه ردوا إليه العمل وإلاّ قدروه، وتراهم أحيانا يلتمسون وجه الصواب ويقفون على الحقيقة أو بعض الحقيقة فيقولون:عدم التقدير أسلم من التقدير "[1]

ويضيف:"وإذا نظرنا في سورة القيامة نجد بضعة مواطن حذف فيها الفاعل من دون أن يسبق له ذكر [2] ، قال تعالى:﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ اَلتَّرَاقِي.وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ.وَظَنَّ أَنَّهُ اَلْفُرَاقُ﴾[القيامة:27.26]

وفي سورة اللّيل يكثر حذف المفعول [3] ، قال تعالى:﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاِتَّقَى .وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾[اللّيل:5]

من خلال قول الجواري نرى أن القاعدة النحوية تقول بأن الفاعل عمدة فهو واجب الذّكر و إلاّ يُقدّر، لكن في العبارة القرآنية نرى شيوع أن يأتي الفعل دون الفاعل كما في سورة القيامة فقد استُغني عنه لأنه معلوم من سياق الكلام.

وجاء في كتاب "النحويون والقرآن":"أنّ طائفة من النحويين تقول بأن (رُبَّ)لا تدخل إلّا على الفعل الماضي ولا تتعلق بالمضارع، ولكنّها وردت في القرآن داخلة على الفعل المضارع [4]في قوله تعالى:﴿رُبَّمَا يَوَدُّ اَلَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينْ﴾[الحجر:2]

---

[1]. نحو القرآن، ص:11.

[2] . المرجع نفسه، ص:15.

[3]. المرجع نفسه،ص:15.

[4]. النحويون و القرآن:د،خليل بنيان الحسون،مكتبة الرسالة،الأردن،ط2002،1،ص:12.

ومن أجل هذا نجد "فاضل صالح السمرائي" يقول:"أنّ كل مفردة في التعبير القرآني اختيرت اختيارا مقصودا ووضعت وضعا فنيا عجيبا، حتى ولو كانت تبدوا مترادفة ومن أمثلة ذلك(المغفرة والغفران)فنجد الغفران خاص بطلب المغفرة من اللّه تعالى وحده، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرْ﴾[البقرة: 285]

و أمّا المغفرة فهي عامة سواء كانت من اللّه تعالى أم من غيره [1] قال تعالى: ﴿قَوْلُ مَعْرُوفُ وَمَغْفِرَةُ خَيْرُ مِنْ صَدَقَةِ يَتْبَعُهَا أَذَى﴾[البقرة 263]

ويذكر"محمود محمد شاكر" من أوجه إعجاز القرآن:"أنه قل أن يخلو القرآن العظيم من حرف من حروف المعاني، والإعجاز هو في وجوه اختلاف مواقع هذه الحروف من الجمل ثم اختلاف معانيها باختلاف مواقعها، ثم ملاحظة الفروق الدقيقة التي يقتضيها هذا الاختلاف في دلالته المؤثرة في معاني الآيات، وهذا وحده أساس علم جليل من علوم القرآن العظيم"[2]

ولذا وكما قال "عبد الصبور شاهين":"فإن القرآن هو الذي يحفظ العربية وليست هي التي تحفظه"[3]

من خلال كل ما سبق ذكره نخلص إلى أن الأحكام والقواعد المستقاة من القرآن الكريم تعتبر الأصل، لما لعربية القرآن من سلطة واقتدار لا يمكن أن تحاكيه أي قدرة بشرية.

1-من أسرار البيان القرآني:د،فاضل صالح السامرائي،دار الفكر، عمان،ط2009،1،ص:15.4

2. نقلا عن:دراسات لأسلوب القرآن الكريم:محمد عبد الخالق عضيمة،ج1،دار الحديث،القاهرة،ص:2.

3. عربية القرآن، ص:79.

الفصل الثالث

المبحث الأول : كلمة عقيدة بين الباحثين.

المبحث الثاني : أين تكمن أزمة العربيّة المعاصرة؟

المبحث الثالث : القيمة العلميّة للكتاب.

1. كلمة عقيدة بين الباحثين:

تعتبر كلمة "عقيدة" من بين المصطلحات التي أثارت الشبهة عند جمهور من العلماء في عدم انتمائها للثقافة الإسلامية، ومن أبرز العلماء الذين تناولوا هذا الموضوع بالدراسة"عبد الصبور شاهين" في كتابه "عربية القرآن" حيث قال :"أنّ بعض المشتغلين بشؤون الثقافة الإسلامية والفكر أثاروا الشبهة حول كلمة "عقيدة" بأنها ليست عربية ولا إسلامية، وبخاصة منذ ترجمة كتاب"العقيدة والشريعة في الإسلام"للمستشرق الألماني العالم "أجنتس جولد تسيهر "عام 1908، الذي اعترض على وصف الإسلام بأنه عقيدة، لأنها لم ترد في القرآن، والأولى وصفه بالفطرة أو السنة لأنها هي التي وردت في القرآن"[1].

في قول الكاتب هذا دليل على الشبهة التي أثارتها كلمة العقيدة في أنها دخيلة على العربية بحيث لم ترد في القرآن ولا السنة.

ويضيف "عبد الصبور شاهين":"أن كلمة عقيدة لم ترد في القرآن الكريم أو الحديث الشريف، وهما أعظم النصوص في تاريخ العربية الخالدة، فقد ورد في القرآن ألفاظ (عقد عقود،عقدة)، التي اشتقت منها الكلمة، وبالنسبة لكتب اللغة فهي لم ترد في واحد من المعاجم التالية :(العين، الجمهرة، الصّحاح، مقاييس اللّغة، لسان العرب...)كلها تجاهلت الكلمة وأهملتها"[2].

يصرح عبد الصبور هنا أنه في رحلته للبحث عن هذه الكلمة لم يجدها لا في القرآن الكريم ولا في الحديث النبوي الشريف، ولا في سلسلة طويلة من المعاجم، مما قوى الشبهة عنده.

وهكذا ظلّ عبد الصبور يبحث في عدد من الكتب والمعاجم وكله أمل أن يجد استعمالا لهذه الكلمة في ثقافة القدماء، إلى أن تصفّح "المصباح المنير"للفيومي (ت 770هـ)، فوجد

---

[1]- انظر :عربية القرآن:د،عبد الصبور شاهين،ص:177.

[2]. المرجع نفسه:ص:178.

فيه في باب العين والقاف وما يثلثهما : "(...) واعتقدت كذا عقدت عليه القلب والضمير حتى قيل العقيدة ما يدين الإنسان به وله عقيدة حسنة سالمة من الشك"[1].

واطلع من بعده على كتاب"التعريفات "للجرجاني (ت 816 هـ) فوجده عرّف العقائد:

" بأنها ما يقصد فيه نفس الاعتقاد دون العمل "[2].

من خلال التعريفين السابقين نلاحظ بداية ظهور لكلمة العقيدة في المعاجم الحديثة.

وفي هذا الصدد يقول عبد الصبور شاهين:"وهنا نقرر مطمئنين أن عبارة المصباح المنير السابقة، تسجيل بداية دخول الكلمة إلى المعجم العربي، بمعناها الذي صيغة له من قبل واستعملت فيه حتى الآن"[3].

وجاءت بعد المصباح المنير والتعريفات مجموعة من المعاجم نقلت عنهما مع بعض التغييرات ونذكر من ذلك، المعجم الوسيط_عمل المجمع اللّغوي _حيث قال:"العقيدة:الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده، والعقيدة في الدين:ما يقصد به الاعتقاد دون العمل كعقيدة وجود اللّه وبعثة الرسل"[4].

وبالرجوع إلى الكتب العلمية الإسلامية نجد أبو حامد الغزالي (ت 505 هـ)، يكثر من استعمال الكلمة، بحيث نجده خصّص لها فصلا في كتابه"إحياء علوم الدين" بعنوان "قواعد العقائد" وفيه أربعة أبواب، والباب الثالث بعنوان "لوامع الأدلة للعقيدة" ويلخص هذه القواعد في أربعة أركان، بحيث يدور كل ركن منها على عشرة أصول وهي كما جاءت في الكتاب:"الركن الأول وهو في معرفة ذات اللّه تعالى مداره على عشرة أصول الركن الثاني

[1] -المصباح المنير :الفيومي،ص:160.

[2] –التعريفات:د،علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني،تحقيق محمد صديق المنشاوي،دار الفضيلة ،القاهرة،ص:128.

[3] –عربية القرآن، ص:182.

[4] –المعجم الوسيط:مجمع اللّغة العربية بالقاهرة،ج2،طبعة إدارة إحياء التراث الإسلامي،قطر،(د.ط)،ص:620.

وهو في صفاته تعالى ويشتمل كذلك على عشرة أصول، الركن الثالث وهو في أفعاله تعالى ،أما الرابع فهو في السّمعيات"[1]

ويقول في هذا عبد الصبور شاهين:"وبذا يعود إلينا يقيننا بصحة الكلمة، وتواتر استعمالها في لغة القدماء وثقافتهم "[2].

ويضيف في حديثه عن هذه الكلمة فيقول:"أنها كلمة مولّدة بحيث لم تكن في الصدر الأول، وكان الناس قبل هذا يكتفون بكلمة "اعتقاد"وهي تدل على إيمان القلب بفكرة ما و التزامه بها، ولما تطور أمرهم إلى التفكير في العلوم المحدثة، وبدأت مشكلات الفلسفة أحسوا بالحاجة إلى فصل موضوع الاعتقاد (الفكرة عند العملية الانفعالية)، فلجأوا إلى توليد هذا الاشتقاق من نفس المادة (ع ق د) " [3] من خلال القول وكل ما سبق نخلص إلى أن كلمة "عقيدة" هي كلمة حديثة لم تكن مستعملة في الماضي، فقد كان يسود مصطلح "اعتقاد"ولكن بتطور العلوم وتطور مشكلات الفكر والفلسفة تم توليد هذه الكلمة اشتقاقها من نفس المادة (ع ق د)، لذا كان الشك سائدا حول عربية الكلمة عندما لم يجدوها في المصادر القديمة.

[1]. إحياء عوم الدين:الغزالي،إعداد و دراسة،إصلاح عبد السلام الرفاعي،مركز الأهرام،القاهرة،ط1988،1،ص:104.

[2]. عربية القرآن، ص:183.

[3]-المرجع نفسه :184.

2. أين تكمن أزمة العربية المعاصرة؟:

إن لغتنا العربية هي ركن ثابت من أركان شخصيتنا فيحق لنا أن نفتخر ونعتز بها و يجب علينا أن نذود عنها ونوليها عناية فائقة، ويتمثّل واجبنا نحوها في المحافظة على سلامتها وتخليصها مما يشوبها من اللّحن والعجمة، لأنها أفضل السّبل لمعرفة شخصية أمّتنا وحضارتنا[1].

لأنها وكما قال "عبد الصبور شاهين"في كتابه "عربية القرآن":"تبدوا في وضع متدهور حضاريا، مما جعل حياة العرب المعاصرة تواجه حالة من الركود اللّغوي والسبب هو إنعزال اللّغة العربية عن مجالات الحياة الحضارية"[2].

في قول عبد الصبور هنا إشارة إلى أن اللّغة العربية تواجه مشكلة، وتعاني ركودا.

فيا ترى ما هي هذه الأزمة، وما هي أسبابها؟

جاء في مقال" للخثير داودي"يعالج فيه هذه القضية:"لقد أدرك الباحثون المختصون الغرب في بدايات عصر نهضتهم الحديثة أنّ اللّغة العربية ضرّة حقيقية للغاتهم التي يتكلمونها، وإن اهتم بها العرب فسيسودوا ويبلغوا الغاية التي يؤمون إليها، وأنّهم لما اطّلعوا على التراث العربي دهشوا لما يحويه فتوجّسوا خوفا من ردة فعل العرب فخططوا لضرب العربية بالدعوة إلى العاميّة أن تكون بديلا للفصحى والحرف اللّاتيني بديلا للعربي" [3].

يشير هذا القول أن الغرب لما أحسّوا بخطورة اللّغة العربية ومنافستها لهم، قاموا بوضع خطّة لإسقاطها عن طريق الدعوة غلى العامية وإبدال الحرف العربي باللّاتيني، مما وضعها أمام معضلة حقيقية.

---

1. انظر، اللغة العربية التحديات والمواجهة: د، سالم مبارك الفلق، اليمن،2004 ، ص:1.

2. انظر، عربية القرآن، ص: 147.

3. عنوان المقال:شجاعة اللغة العربية في مواجهة الزعيق الحضاري:الخثير داودي: دراسات وأبحاث،العدد13،جامعة الجلفة،ص:121

ويضيف في نفس الموضوع:"أنّها كانت أصعب محنة تفكيكية مرّت بها العربية رجت من ثوابتها وهزت من حصونها، حتى كادت أن تنحل كل أوصالها وروابطها، ولقد كان أمام هذا المشروع الهدّام جماعة من المستشرقين الحاقدين على العربية و لإسلام، منهم الرائد الأول "ولهلم سبيتا"الألماني في كتابه"قواعد العربية في مصر"، و" كارل فولرس"في كتابه"اللّهجة العربية في مصر"، و" سلدن ولمور""العربية المحكية في مصر"، فيولت وباول في كتابهما"المقتضب في عربية مصر""[1].

يقول "ولهلم سبيتا"في كتابه"قواعد العربية في مصر"(1880):"اللّغة العربية صعبة،أي أنها لغة يصعب على الأجنبي والعربي تعلمها، ولهذا السبب هجرها العرب وراحوا يستعملون العامية في حياتهم اليومية، ولو كانت سهلة مرنة كما هي حال اللّغات الأجنبية لاعتمدها العرب في تفكيرهم واستعمالهم وكتابتهم، لكنها لغة صعبة مقصورة على بعض الواجبات الدينية، ومن المفيد التخلي عنها لأنها تعوق التمدن والرقي، واعتماد العامية المصرية لأنها منتشرة في الوطن العربي ولابدّ من تقعيد قواعد العامية واستبدال الحروف اللّاتينية بالعربية لنقل العامية من لغة الحياة اليومية إلى اللّغة الأدبية"[2].

هذا القول جمع فأوعى فهو ملخص لكل المؤامرة التي يحوكها هؤلاء الحاقدون على الإسلام والعربية، الذين يدعون لنقل العامية لتكون لغة الأدب وإنزال السّتار على الفصحى بحجة صعوبتها وإعاقتها للتمدن والرّقي.

واستمر زملاء "سبيتا"من بعده يروجون لأفكاره عن طريق كتبهم، بدعوتهم إلى هجر الفصحى لأنّها في رأي "ولكوكس":"سبب عدم وجود قوة الاختراع لدى المصريين"[3]

[1]. مقال:شجاعة اللغة العربية في مواجهة الزعيق الحضاري، ص: 121.

[2]. نقلا عن: قضايا اللغة العربية في العصر الحديث:د،سمر روحي الفيصل، (د.ط،د.ت)، ص:19.

[3]. المرجع نفسه، ص: 19.

ولهذا السبب"نصحهم بنبذ هذه اللّغة الصعبة الجامدة واتخاذ العامية أداة للتعبير الأدبي إقتداء بالأمة الإنكليزية التي أفادت فائدة كبيرة منذ هجرت اللّاتينية التي كانت لغة الكتابة والعلم يوما ما"[1].

قول ولكوكس هذا دليل على أن أفكار "سبيتا" في استمرار، والتي تقضي باتخاذ حجة وهي اتهام اللّغة العربية بالصعوبة والجمود كذريعة لإسقاطها من الاستعمال واستبدالها بالعامية.

ويعلق "سمر روحي الفيصل " على هذه الآراء بقوله:"إنّ هذه الدعوى زائفة المحتوى لأنّها تدعوا إلى استعمال ما هو مستعمل في البلاد العربية، ولو كانت دعوة موضوعية لوجب أن يكون عنوانها(الدعوة غلى تنقية العاميات مما لحقها في عصور الضعف والانحدار والسيادة الأجنبية)، وأزعم هنا أن أنصار الفصيحة المتنورين لم يحاربوا الدعوة إلى العامية لمخالفتهم محتواها أو جهلهم زيفا، بل حاربوها لما تضمره من أهداف معادية للأمّة العربية ويمكنني اختزال هذه الأهداف في ثلاث نقاط"[2]

ويضيف"الهدف الأول هجر الفصيحة تمهيدا للقضاء عليها وما يتبع ذلك من فصل العرب عن تراثهم ودينهم، أمّا الثاني فهو جعل العامية لغة أدبية بدلا من الفصحى، والثالث هو نشر اللّغات الأجنبية واعتمادها لغة التعليم بغية السيطرة على العرب وجعلهم تابعين للاستعمار تبعية مطلقة"[3]

هذا القول فيه إثبات للحقيقة الكامنة خلف هذه الدعوة، والتي وصفها الكاتب بأنها زائفة،وهو محق فمن غير المعقول أن يهتم الغرب بالعامية أو بغيرها مما يخص العرب إلاّ أنّهم وجدوها كسبيل لإحباط اللّغة الأصل من أجل السيطرة والتحكّم.

وجاء في كتاب "اللّغة العربية التحديات المواجهة"ذكر لأهمّ التحديات التي واجهتها اللّغة العربية وهي كالتالي :"اتهامها بالعقم والجمود والتحجر والقصور، وأنّها لم تعد ملائمة

---

[1]. قضايا اللغة العربية في العصر الحديث:د، سمر روحي الفيصل، ص:23 .

[2]. المرجع نفسه، ص: 23.

[3]. المرجع نفسه: ص: 23.

لأساليب القرن الحادي والعشرين، عصر الثورة المعلوماتية والاختراقات الفضائية، بالإضافة إلى تلك الدعاوي الرامية إلى تفجير العربية وتحويلها إلى ركام من التراكيب والدلالات التي يعجز اللّبيب عن إدراك مراميها فضلا عن المثقف العادي، وقد بلغ أقصاه فيما يسمون أنفسهم أهل الحداثة وهي شرّ المحدثات"[1]

ويضيف:"وكذا ما يروج له أعداء الإسلام من استبدال الفصحى بالعامية واللّغات الإقليمية والقومية الضيقة، أو إحياء لغات قديمة ميتة، أما التحدي الآخر فهو الإعلام العربي واللّغة العربية؛ حيث فشت العامية على السنة بعض المذيعين ولاسيما في المقابلات والحوارات، بالإضافة إلى بعض الألفاظ الأجنبية كثيرة الترداد على السنة المذيعين مثل Ok\Bravo، بالإضافة إلى الإيغال في التفرنج واللهث وراء كل ما يصدر عن الغرب في أسماء القنوات وبرامج التلفزة "[2]

ويتحدث "الخثير داودي"في مقاله عن حالة العربية بعد النصف الثاني من القرن العشرين في مواجهة حضارة الإلكترون قائلا:"إنّ العربية بعد النصف الثاني من القرن العشرين تواجه زعيقا ونفيرا وزمهريرا من عالم التكنولوجيا والمخترعات، وخاصة عالم الإنترنيت الذي زوى العالم في صفحاته اخترق الحجب، واختزل الأزمنة والأمكنة، وهو عالم سيطرت عليه اللّغة الإنكليزية فأين إذن موقع العربية إذن، وما مصيرها ؟ فأنّى لها الطمأنينة وقد أقصيت من التحديث العصرنة "[3]

يشير القول إلى أنّ اللّغة تعاني مشكلة وهي محاولة طمسها عن طريق الترويج للّغة الإنكليزية كلغة الحضارة والإنترنيت، بغية إلهاء الشباب العربي وصرف نظره عن لغته.

ويقول كحل لهذا المشكل العويص :"أنّه لا مناص من رجوع المجتمعات العربية للتمسّك بالقوة القرآنية، ليحصل الملك والولاية للعرب والعربية، ونتخلص من رعونة الأمية، فإن تحقّق

---

[1]. اللغة العربية التحديات و المواجهة: د، سالم مبارك الفلق، ص: 10.

[2]. المرجع نفسه، ص: 20.

[3]. مقال:شجاعة اللغة العربية في مواجهة الزعيق الحضاري، ص:124.

هذا الشرط نصرت العربية من غير ناصر، ولا خوف عليها من مواجهة اللّغات وثورة المعلومات، وعالم الإنترنيت، لأنّه لولا القرآن ما كان وجود علوم للعربية ولا حتى وجود لها نفسها" [1] .

يحثّ الكاتب هنا على التمسك بالقرآن الكريم وتعاليمه كحبل نجاة من كل هذه التيارات المعادية التي تحاول الإخلال بالعرب والعروبة .

من خلال ما سبق ذكره نخلص إلى أنّ اللّغة العربية هي في مواجهة عصيبة مع هذه التحديات المعاصرة، وعالم الإنترنيت، بالإضافة إلى تكالب الأعداء عليها للإطاحة بها، لذا على كل عربيّ ومسلم العمل على الخروج بلغته من هذه الأزمة، بالرجوع إليها وعدم الغرق في تيارات الغرب الجارفة، وبالرجوع إلى كتاب اللّه تعالى لأنّه هو العامل الوحيد لبقاء هذه اللّغة محفوظة إن شاء اللّه .

[1]. مقال:شجاعة اللغة العربية في مواجهة الزعيق الحضاري، ص: 10.

3. القيمة العلمية للكتاب:

يعدّ كتاب عربية القرآن أحد أهم مؤلفات "عبد الصبور شاهين"وهو دراسة لمجموعة من أبرز القضايا اللّغوية، فالكتاب له قيمة خاصة ويعتبر أرضا خصبة لدراسة أي علم من علوم العربية ممّا جعله يكون محل دراستنا الراهنة، فهذا الكتاب يعرض مجموعة من الآراء اللّغوية المتشعبة المنحى التي تعيشها اللّغة العربية هذه اللّغة الشريفة المقدسة كونها لغة القرآن الكريم الذي حفظ لها البقاء قرونا من نكسات الزمن ولعل هذا التفضيل السماوي لهذه اللّغة و اقترانها بالقرآن الكريم، كان الدافع ب"عبد الصبور شاهين لأن يورد هذا القران عنوانا لكتابه هذا "عربية القرآن"، وقال فيه: "لقد كان نزول القرآن بالعربية حدثا فريدا في تاريخ الدين والإنسان، ذلك لأن ضرورة استمراره آية باقية لدعوة الإسلام حققت من الناحية التاريخية استمرار العلاقة بينه وبين بيان العربية، بحيث يضل هذا البيان قرآنيا، يفسّر القرآن، ويحيا بالقرآن".[1]

وهذا الكتاب في جملته يصف لنا هذه اللّغة الشريفة ومميزاتها، حيث حاول الكاتب في الفصل الأول الفصل بين لغة العرب وعربية القرآن، فهذه الأخيرة تجاوزته فصاحة ونظما و حسنا في القول والتركيب، كما بيّن في فصل آخر بأن اللّغة تتطور وأن اللّغة القديمة غير اللّغة الحديثة لما اكتسبته من مفردات وثروة معجمية تساير متطلبات العصر وهذه التغيرات التي أصابت اللّغة ساهمت بتفرّعها إلى لهجات مستقلة بفعل عدة عوامل (جغرافية،سياسية،دينية،اجتماعية...)، كما تناول الكاتب موضوع الصواب والخطأ في اللّغة وظاهرة اللّحن التي أصابتها، متطرقا إلى أبرز معيقاتها، وعقد"عبد الصبور"بابا في مسألة العقيدة وهي إحدى مسائل علم الكلام وتوارد هذه المفردة في مجتمع العلماء والباحثين، وممّا سجل على منهجه أنه اتّسم بالدراسة الوصفية التحليلية يقتضي الجمع والتفرقة بين ثنائيات

[1]. عربية القرآن، ص:76.

لغوية في تقديم آراءه، ويعتبر الكتاب اجتهادا ورؤية علمية جديدة يطرحها الكاتب، متعرضا لمصطلحات لغوية كانت لها البصمة الراسخة بين جمهور العلماء والناقدين .

خاتمة

لكل بداية نهاية والحمد للّه الذي هدانا وأوصلنا إلى هذا، فمن بحثنا هذا نخلص إلى أنّ عمليّة البحث فيها متعة وفائدة قبل كل شيء، فهي تنير عقل الباحث وترسم له الطريق الذي ينال منه مبتغاه على الرّغم من كل الصعوبات.

ومن خلال هذا العمل المتواضع الذي نرجو أن يكون ذا قيمة وأهميّة بالغة لدى الدارسين والمهتمين بمثل هذه الموضوعات التي تطرقنا لدراسة واحد منها، وتتمثل في دراسة بعض الآراء اللّغوية عند عبد الصبور شاهين من خلال كتابه "عربية القرآن".

وبعد دراستنا لهذا الكتاب تمكنا من إحصاء مجموعة من الاستنتاجات والأفكار القيمة وهي كالآتي:

- تعد اللّغة العربية من اللّغات السامية الضاربة بجذورها في أعماق القدم، وهي الوحيدة التي حافظت على بقائها وسط أخواتها الساميات وهذا بفضل حفظ القرآن الكريم لها.
- اللّغة العربية هي لغة مختارة ومميزة، ومما زادها شرفا هو نزول القرآن الكريم بها الذي جعلها كاملة وحفظ لها البقاء وصانها من كل شوائب اللّحن والعجمة.
- عبد الصبور شاهين من العلماء العرب المحدثين الذين تميزوا عن غيرهم بالنظر الثاقب، والتفحص الدقيق، فقد كان نحويا ولغويا وفقيها متأثّرا بالنّزعة الإسلامية فاتّسم فكره بمظهرين: مظهر لغوي، ومظهر فقهي.
- كتاب عربيّة القرآن من أهمّ الكتب اللّغوية التي تعد منهلا غزيرا يغرف منه الكثير من الباحثين، وموضوعاته متشعّبة تضم العديد من المجالات التي تدرس اللغة.
- إعتمد عبد الصبور منهجا فريدا جمع فيه بين الوصف والتحليل والمقارنة والاستنتاج.
- إنّ فكرة اختلاف الآراء حول ثبوت اللّغة وتغيرها عبر الزمن، وتقسيمها إلى قديمة ومعاصرة، إنّما مردّه إلى تراجع لغات واندثارها وظهور لغات أخرى جديدة، واللّغة العربية رغم كونها ضاربة في القدم إلّا أنّها تطورت معجميا و اكتسبت مفردات جديدة تستدعيها الحياة والبيئة المعاصرة.

- يرى عبد الصبور أن اللّغة تتفرع إلى لهجات، والتي تمثّل مجموع الخصائص التي تميز بيئة عن أخرى، وذلك بسبب مجموعة مؤثرات سياسية، دينية، ثقافية تاريخية...الخ.
- بفعل الصدام الحضاري بين اللغات، اكتسبت اللغة العربية الكثير من المصطلحات الدخيلة على معجمها، مما أدى إلى إصابتها بما يسمى باللّحن، فكان هذا السبب الرّئيسي لظهور صرح "علم النحو العربي".
- بحث عبد الصبور في موضوع أميّة العرب، ليتوصل إلى أنها أمية دينية لا أمية قراءة وكتابة كما كان متعارفا عليه، وهذا لعدم امتلاكهم كتاب ديني يحتكمون إليه.
- من أخطر الأزمات التي تواجه اللغة العربية في العصر الحديث هي محاولة القضاء على الفصحى واستبدالها بالعامية، وذلك عن طريق سيطرة حضارة الإلكترون والإنترنيت.
- ومن المصطلحات التي أرّقت عبد الصبور فيما إذا كانت عربية أم دخيلة كما كان متعارفا آنذاك، هي كلمة :العقيدة" والتي نقّب عنها في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والمعاجم العربية القديمة، لكن دون أن يجد لها أثرا، إلى أن وصل إلى بعض المعاجم الحديثة، حيث وجدها، واكتشف أنها مصطلح جديد ظهر مع علم الكلام والمنطق.

وفي الأخير يمكننا القول بأن هذه معظم النتائج التي توصّلنا إليها، إلّا أنّ بحثنا لم يكن ملمّا بكل التفاصيل المتعلّقة بهذا الموضوع، فهو ليس مجرّد قطرة من محيط، ولذا فهو يبقى مفتوحا لمزيد من البحث والدراسة والتعمق.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

*القرآن الكريم.

المصادر والمراجع:

1-اللغة العربية وتحديات العولمة:د،هادي نهر،جار الكتب العالمي،الأردن،ط2010،1.

2-الصورة والصيرورة بصائر في أحوال الظاهرة النحوية ونظرية النحو العربي:د،نهاد الموسى،دار الشروق، عمان، الأردن، ط1، 2003.

3-الحلقة المفقودة في تاريخ النحو العربي:د، عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1993.

3-البيان والتبيين2:الجاحظ، بتحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1998.

4-قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلّام:د، محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، ط1997،1.

5-اللحن اللغوي وأثره في اللغة والفقه:د، محمد عبد الله بن التمين، إدارة البحوث، ط1، 2008.

6-في اللهجات العربية:د، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2003.

7-لهجات العرب:د، أحمد تيمور باشا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1973.

8-فقه اللغة مناهله ومسائله:د، محمد أسعد النادري، المكتبة العصرية، بيروت، 2009.

9-قضايا لسانية وحضارية:د، منذر عياشي، دار طلاس، دمشق، ط1991،1.

10-محاضرات في الألسنية العامة: فرديناند ديسوسير، ترجمة يوسف غاري، محمد قيمة، المؤسسة الجزائرية، 1989.

11-العربية وعلم اللغة الحديث: محمد داوود، دار غريب، القاهرة، 2001.

12-الخصائص: ابن جني، تحقيق عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2005.

13-النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون: فاطمة الطبال بركة، بيروت، ط1923،1.

14-المدارس اللسانية المعاصرة: د، نعمان بوقرة، مكتبة الأدب، القاهرة، (د.ط-دت).

15-لسان العرب: ابن منظور، مادة (ب ي ن)،مج 83.

16-أساس البلاغة :الزمخشري، ترجمة عبد الرحيم حمود، دار المعرفة، بيروت، 1982.

17-العربية الواضحة: د،داود غطاشة الشوابكة، نضال محمد الشمالي، دار الفكر، عمان، ط2،(د.ت).

18-دلائل الإعجاز:د، عبد القاهر الجرجاني، مكتبة الخانجي، ط5، 2004.

19-الواضح في علم البيان: د، أبي مصطفى البغدادي،(د.ت-د.ط).

20-الأصول: د، تمام حسان، المكتبة الوطنية الجزائرية، القاهرة،2000.

21-جمهرة مقالات: د، محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، ط1، 2003.

22-علم اللغة: علي عبد الواحد وافي، القاهرة، ط9، 2004.

23-اللغة العربية بين جمالها وخصومها: د، أنور الجندي، مطبعة الرسالة، بيروت، (د.ت-د.ط).

24-القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية: د،عبد العال سالم المكرم، علي جراح الصباح، ط1978،2.

25-فصول في فقه العربية2: د، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1994.

26-الدراسات اللغوية عند العرب: د، محمد حسين آل ياسين، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ط1، 1980.

27-مقالات في اللغة والأدب: د، تمام حسان ج2، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2006.

28-القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية: د،عبد العال سالم المكرم، مؤسسة علي جراح الصباح، الكويت، ط1978،2.

29-لسان العرب: ابن منظور، المجلد الثامن، طبعة دار الحديث، القاهرة، 2003.

30-فصول في اللغة والنقد: د، نعمة رحيم العزاوي، المكتبة العصرية، بغداد، ط1، 2004.

31-قراءة في كتاب"نظرية النحو القرآني" :د، أحمد مكي الأنصاري، تحقيق محمد حسن عواد، مج7، 2011.

32-الاقتراح في علم أصول النحو: السيوطي جلال الدين، عبد الرحمان، ترجمة أحمد محمد القاسم، القاهرة، ط1، 1976.

33-نحو القرآن: د، أحمد عبد الستار الجواري، الناشر مكتبة اللغة العربية، بغداد، 1974.

34-اللغة بين المعيارية والوصفية: د، تمام حسان، مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، 1958.

35-مداخل إعجاز القرآن: أبو فهر محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط1، 2002.

36-النحويون والقرآن: د، خليل بنيان الحسون، مكتبة الرسالة، الأردن، ط2002،1.

37-من أسرار البيان القرآني: د، فاضل صالح السامرائي، دار الفكر، عمان، ط1، 2009.

38-دراسات لأسلوب القرآن الكريم: د، محمد عبد الخالق عضيمة، ج1، دار الحديث ، القاهرة.

39-المصباح المنير: الفيومي.

40-التعريفات: د، علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، تحقيق محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة.

41-المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج2، طبعة إدارة إحياء التراث الإسلامي، قطر.

42-إحياء علوم الدين: الغزالي، إعداد ودراسة إصلاح عبد السلام الرفاعي، مركز الأهرام، القاهرة، ط1، 1988.

43-اللغة العربية التحديات والمواجهة: د، سالم مبارك الفلق، اليمن، 2004.

44-قضايا اللغة العربي في العصر الحديث: د، سمر روحي الفيصل، (د.ت-د.ط).

45-العربية خصائصها وسماتها: عبد الغفار حامد هلال، مطبعة الجيلاوي، ط4، 1990.

46-محاضرات في علوم القرآن: د، غانم قدوري الحمد، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2001.

47-فنون البلاغة بين القرآن وكلام العرب: د، فتحي عبد القادر فريد، دار اللواء، الرياض، ط1، 1980.

48-الظاهرة القرآنية: مالك بن نبي، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق سوريا، ط4، 1987.

49-تاريخ آداب العرب: الرافعي، دار الكتب العربي، بيروت ، لبنان، ط2، 1974.

50-العربية الفصحى:د، عودة الله منيع القيسي، دار البداية، عمان، ط1.

51-عربية القرآن: د، عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب.

52-إعجاز القرآن البياني: د، صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار عمار، عمان، ط1 2000.

53-المعجزة الكبرى القرآن: د، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، (د.ت-د.ط).

54-الإعجاز والإيجاز: أبو منصور الثعالبي، مصر،1987.

55-لغة القرآن الكريم: د، عبد الجليل عبد الرحيم، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، ط1.

56-أثر القرآن الكريم في اللغة العربية والتحديات المعاصرة :محمد يوسف الشربجي، (د.ت-د.ط).

المجلات والدوريات:

57-مجلة: بحوث في اللغة والفكر:د،إبراهيم عبد الله رقيبة ، منشورات كلية الدعوة الإسلامية،ط2005،1.

58-مقال:شجاعة اللغة العربية في مواجهة الزعيق الحضاري: الخثير داودي، دراسات وأبحاث، العدد13،الجلفة.

فهرس الموضوعات

المقدمة.....أ . ب.

1. المدخل:

المبحث الأول:التعريف بالكتاب والكاتب.....1 . 2.

المبحث الثاني:هل هنالك فرق بين عربيّة القرآن وعربيّة العرب في جاهليتهم؟.3 .7.

المبحث الثالث:أبرز موائز عربية القرآن.....8 .12.

2. الفصل الأول:

المبحث الأول:الفرق بين اللّغة والبيان.....13 . 17.

المبحث الثاني:هل الفصحى المعاصرة تفارق الفصحى القديمة؟.....18 . 21.

المبحث الثالث:هل أميّة العرب كانت دينية أم أميّة قراءة وكتابة؟.....22 . 24.

3. الفصل الثاني:

المبحث الأول:كيف تكوّنت وتشكّلت اللّهجات العربيّة؟.....25 . 30.

المبحث الثاني:مقياس الصّواب والخطأ في اللّغة.....31. 36.

المبحث الثالث:السّلطة والاقتدار اللّغوي في عربيّة القرآن وقواعد النحاة....37 . 41.

4. الفصل الثالث:

المبحث الأول:كلمة عقيدة بين الباحثين.....42 . 44.

المبحث الثاني:أين تكمن أزمة العربيّة المعاصرة؟.....45 . 49.

المبحث الثالث:القيمة العلميّة للكتاب.....50 . 51.

خاتمة.....

قائمة المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.